دروس من وصية أمير المؤمنين عليه السلام لولده الإمام الحسن عليه السلام

إعداد

قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ

اسم الكتاب : دروس من وصية أمير المؤمنين لولده الإمام الحسن عليه السلام

إعداد : قسم الشؤون الدينية – شعبة التبليغ

الناشر : العتبة العلوية المقدسة

المراجعة : شعبة التبليغ في قسم الشؤون الدينية

الطبعة : الأولى

سنة الطبع : ١٤٣٩ هـ – ٢٠١٨م

قياس : ١٤,٨×٢١

عدد الصفحات : ١٤٤

عدد النسخ : ٥٠٠٠

الموقع الإلكتروني : www.imamali.net

البريد الإلكتروني : tableegh@imamali.net

موبايل : ٠٧٧٠٠٥٥٤١٨٦

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من أرسل رحمة للعالمين وعلى وصيه وخليفته علي أمير المؤمنين.

إن كتاب نهج البلاغة بحر فيّاض لا تنتهي كنوزه ولا تضمحل غنائمه، يمثل القيم الإنسانية، والرسالة الإلهية، والأنوار المحمدية، بأبعادها المختلفة، كيف لا؟! وهو يحوي كلمات باب العلم، ودليل الهداية، وميزان الحق والباطل، ماء القلوب ونور الأبصار...

ومن درره العظيمة، وصيته عليه السلام التي كتبها لولده الإمام الحسن عليه السلام عند انصرافه من صفين، هذه الوصية التي تمثل مدرسة عظيمة، يجتمع فيها تراكم التجارب الإنسانية، وعصارة الرسالة الإلهية، في قالب سبكه فارس البلاغة، وأمير البيان، وسيد الكلمة.

وفي هذا الكتاب الماثل بين يديك، ضمن سلسلة الدروس

الثقافية، حاولنا أن نتتلمذ في هذه المدرسة العظيمة، بحسب ما تسعفنا أفهامنا، فقسّمنا هذه الوصية إلى دروس، نُركّز الضوء في كل درس على فكرة أساسية، نستنير بقبسها، ونواجه ببركتها تقلبات الدهر، وفتن الدنيا، وإن كنا نعي أن أفهامنا قاصرة عن الإحاطة بكلماته النورانية، ولكن كما في المقولة المشهور: «ما لا يدرك كله لا يترك جُلُّهُ».

نسأل الله تعالى أن يُلهم قلوبنا فهم هذه الكلمات لتزهر بربيع المعرفة، ويوفق ابصارنا للاستفادة من نورها.

والحمد لله أولاً وآخراً

النص الكامل للوصية:

من وصية للإمام علي بن أبي طالب لولده الإمام الحسن عليهما السلام، كتبها إليه بحاضرين منصرفاً من صفين:

«مِنَ الْوَالِدِ الْفَانِ الْمُقِرِّ لِلزَّمَانِ الْمُدْبِرِ الْعُمُرِ، الْمُسْتَسْلِمِ لِلدُّنْيَا، السَّاكِنِ مَسَاكِنَ الْمَوْتَى والظَّاعِنِ عَنْهَا غَداً، إِلَى الْمَوْلُودِ الْمُؤَمِّلِ مَا لَا يُدْرِكُ، السَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ، غَرَضِ الأَسْقَامِ ورَهِينَةِ الأَيَّامِ، ورَمِيَّةِ الْمَصَائِبِ وعَبْدِ الدُّنْيَا وتَاجِرِ الْغُرُورِ، وغَرِيمِ الْمَنَايَا وأَسِيرِ الْمَوْتِ، وحَلِيفِ الْهُمُومِ وقَرِينِ الأَحْزَانِ، ونُصُبِ الآفَاتِ وصَرِيعِ الشَّهَوَاتِ وخَلِيفَةِ الأَمْوَاتِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ فِيمَا تَبَيَّنْتُ مِنْ إِدْبَارِ الدُّنْيَا عَنِّي، وجُمُوحِ الدَّهْرِ عَلَيَّ وإِقْبَالِ الآخِرَةِ إِلَيَّ، مَا يَزَعُنِي عَنْ ذِكْرِ مَنْ سِوَايَ، والِاهْتِمَامِ بِمَا وَرَائِي، غَيْرَ أَنِّي حَيْثُ تَفَرَّدَ بِي دُونَ هُمُومِ النَّاسِ هَمُّ نَفْسِي، فَصَدَفَنِي رَأْيِي وصَرَفَنِي عَنْ هَوَايَ، وصَرَّحَ لِي مَحْضُ أَمْرِي، فَأَفْضَى بِي إِلَى جِدٍّ لَا يَكُونُ فِيه لَعِبٌ، وصِدْقٍ لَا يَشُوبُه كَذِبٌ.

ووَجَدْتُكَ بَعْضِي، بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي، حَتَّى كَأَنَّ شَيْئاً لَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِي، وكَأَنَّ الْمَوْتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِي، فَعَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِينِي مِنْ أَمْرِ نَفْسِي، فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ كِتَابِي، مُسْتَظْهِراً بِه إِنْ أَنَا بَقِيتُ لَكَ أَوْ فَنِيتُ.

فَإِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ أَيْ بُنَيَّ ولُزُومِ أَمْرِه، وعِمَارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِه والِاعْتِصَامِ بِحَبْلِه، وأَيُّ سَبَبٍ أَوْثَقُ مِنْ سَبَبٍ بَيْنَكَ وبَيْنَ اللهِ، إِنْ أَنْتَ أَخَذْتَ بِه، أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ وأَمِتْه بِالزَّهَادَةِ، وقَوِّه بِالْيَقِينِ ونَوِّرْه بِالْحِكْمَةِ، وذَلِّلْه بِذِكْرِ الْمَوْتِ وقَرِّرْه بِالْفَنَاءِ، وبَصِّرْه فَجَائِعَ الدُّنْيَا، وحَذِّرْه صَوْلَةَ الدَّهْرِ وفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي والأَيَّامِ، واعْرِضْ عَلَيْه أَخْبَارَ الْمَاضِينَ، وذَكِّرْه بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الأَوَّلِينَ، وسِرْ فِي دِيَارِهِمْ وآثَارِهِمْ، فَانْظُرْ فِيمَا فَعَلُوا وعَمَّا انْتَقَلُوا وأَيْنَ حَلُّوا ونَزَلُوا، فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ قَدِ انْتَقَلُوا عَنِ الأَحِبَّةِ، وحَلُّوا دِيَارَ الْغُرْبَةِ، وكَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ، فَأَصْلِحْ مَثْوَاكَ ولَا تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ، ودَعِ الْقَوْلَ فِيمَا لَا تَعْرِفُ والْخِطَابَ فِيمَا لَمْ تُكَلَّفْ، وأَمْسِكْ عَنْ طَرِيقٍ إِذَا خِفْتَ ضَلَالَتَه، فَإِنَّ الْكَفَّ عِنْدَ حَيْرَةِ الضَّلَالِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الأَهْوَالِ وأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ تَكُنْ مِنْ أَهْلِه، وأَنْكِرِ الْمُنْكَرَ بِيَدِكَ ولِسَانِكَ، وبَايِنْ مَنْ فَعَلَه بِجُهْدِكَ، وجَاهِدْ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِه، ولَا تَأْخُذْكَ فِي اللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ، وخُضِ الْغَمَرَاتِ لِلْحَقِّ حَيْثُ كَانَ وتَفَقَّه فِي الدِّينِ، وعَوِّدْ نَفْسَكَ التَّصَبُّرَ عَلَى الْمَكْرُوه، ونِعْمَ الْخُلُقُ التَّصَبُّرُ فِي الْحَقِّ، وأَلْجِئْ نَفْسَكَ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا إِلَى إِلَهِكَ، فَإِنَّكَ تُلْجِئُهَا إِلَى كَهْفٍ حَرِيزٍ ومَانِعٍ عَزِيزٍ، وأَخْلِصْ فِي الْمَسْأَلَةِ

لِرَبِّكَ، فَإِنَّ بِيَدِه الْعَطَاءَ والْحِرْمَانَ، وأَكْثِرِ الِاسْتِخَارَةَ وتَفَهَّمْ وَصِيَّتِي، ولَا تَذْهَبَنَّ عَنْكَ صَفْحاً، فَإِنَّ خَيْرَ الْقَوْلِ مَا نَفَعَ.

واعْلَمْ أَنَّه لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، ولَا يُنْتَفَعُ بِعِلْمٍ لَا يَحِقُّ تَعَلُّمُه.

أَيْ بُنَيَّ إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُنِي قَدْ بَلَغْتُ سِنّاً، ورَأَيْتُنِي أَزْدَادُ وَهْناً، بَادَرْتُ بوَصِيَّتِي إِلَيْكَ، وأَوْرَدْتُ خِصَالًا مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَعْجَلَ بِي أَجَلِي، دُونَ أَنْ أُفْضِيَ إِلَيْكَ بِمَا فِي نَفْسِي، أَوْ أَنْ أُنْقَصَ فِي رَأْيِي كَمَا نُقِصْتُ فِي جِسْمِي، أَوْ يَسْبِقَنِي إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ الْهَوَى وفِتَنِ الدُّنْيَا، فَتَكُونَ كَالصَّعْبِ النَّفُورِ.

وإِنَّمَا قَلْبُ الْحَدَثِ كَالأَرْضِ الْخَالِيَةِ، مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبِلَتْه.

فَبَادَرْتُكَ بِالأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُوَ قَلْبُكَ، ويَشْتَغِلَ لُبُّكَ لِتَسْتَقْبِلَ بِجِدِّ رَأْيِكَ مِنَ الأَمْرِ، مَا قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُغْيَتَه وتَجْرِبَتَه، فَتَكُونَ قَدْ كُفِيتَ مَئُونَةَ الطَّلَبِ، وعُوفِيتَ مِنْ عِلَاجِ التَّجْرِبَةِ، فَأَتَاكَ مِنْ ذَلِكَ مَا قَدْ كُنَّا نَأْتِيه، واسْتَبَانَ لَكَ مَا رُبَّمَا أَظْلَمَ عَلَيْنَا مِنْه.

أَيْ بُنَيَّ إِنِّي وإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمُرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي، فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ وفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ، وسِرْتُ فِي آثَارِهِمْ حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ، بَلْ كَأَنِّي بِمَا انْتَهَى إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ، قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذَلِكَ مِنْ كَدَرِه ونَفْعَه مِنْ ضَرَرِه، فَاسْتَخْلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلَه، وتَوَخَّيْتُ لَكَ جَمِيلَه وصَرَفْتُ عَنْكَ مَجْهُولَه.

ورَأَيْتُ حَيْثُ عَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِي الْوَالِدَ الشَّفِيقَ، وأَجْمَعْتُ عَلَيْه مِنْ أَدَبِكَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ، وأَنْتَ مُقْبِلُ الْعُمُرِ ومُقْتَبَلُ الدَّهْرِ، ذُو نِيَّةٍ سَلِيمَةٍ ونَفْسٍ صَافِيَةٍ، وأَنْ أَبْتَدِئَكَ بِتَعْلِيمِ كِتَابِ اللهَّ عَزَّ وجَلَّ، وتَأْوِيلِه وشَرَائِعِ الإِسْلَامِ وأَحْكَامِه وحَلَالِه وحَرَامِه، لَا أُجَاوِزُ ذَلِكَ بِكَ إِلَى غَيْرِه.

ثُمَّ أَشْفَقْتُ أَنْ يَلْتَبِسَ عَلَيْكَ، مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيه مِنْ أَهْوَائِهِمْ وآرَائِهِمْ، مِثْلَ الَّذِي الْتَبَسَ عَلَيْهِمْ، فَكَانَ إِحْكَامُ ذَلِكَ عَلَى مَا كَرِهْتُ مِنْ تَنْبِيهِكَ لَه أَحَبَّ إِلَيَّ، مِنْ إِسْلَامِكَ إِلَى أَمْرٍ لَا آمَنُ عَلَيْكَ بِه الْهَلَكَةَ، ورَجَوْتُ أَنْ يُوَفِّقَكَ اللهَّ فِيه لِرُشْدِكَ، وأَنْ يَهْدِيَكَ لِقَصْدِكَ فَعَهِدْتُ إِلَيْكَ وَصِيَّتِي هَذِه.

واعْلَمْ يَا بُنَيَّ، أَنَّ أَحَبَّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِه إِلَيَّ مِنْ وَصِيَّتِي تَقْوَى اللهَّ، والِاقْتِصَارُ عَلَى مَا فَرَضَه اللهَّ عَلَيْكَ، والأَخْذُ بِمَا مَضَى عَلَيْه الأَوَّلُونَ مِنْ آبَائِكَ، والصَّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَدَعُوا أَنْ نَظَرُوا لأَنْفُسِهِمْ كَمَا أَنْتَ نَاظِرٌ، وفَكَّرُوا كَمَا أَنْتَ مُفَكِّرٌ، ثُمَّ رَدَّهُمْ آخِرُ ذَلِكَ إِلَى الأَخْذِ بِمَا عَرَفُوا، والإِمْسَاكِ عَمَّا لَمْ يُكَلَّفُوا، فَإِنْ أَبَتْ نَفْسُكَ أَنْ تَقْبَلَ ذَلِكَ دُونَ أَنْ تَعْلَمَ كَمَا عَلِمُوا، فَلْيَكُنْ طَلَبُكَ ذَلِكَ بِتَفَهُّمٍ وتَعَلُّمٍ، لَا بِتَوَرُّطِ الشُّبُهَاتِ وعُلَقِ الْخُصُومَاتِ.

وابْدَأْ قَبْلَ نَظَرِكَ فِي ذَلِكَ بِالِاسْتِعَانَةِ بِإِلَهِكَ، والرَّغْبَةِ إِلَيْه فِي تَوْفِيقِكَ، وتَرْكِ كُلِّ شَائِبَةٍ أَوْلَجَتْكَ فِي شُبْهَةٍ، أَوْ أَسْلَمَتْكَ إِلَى ضَلَالَةٍ.

فَإِنْ أَيْقَنْتَ أَنْ قَدْ صَفَا قَلْبُكَ فَخَشَعَ، وتَمَّ رَأْيُكَ فَاجْتَمَعَ، وكَانَ هَمُّكَ فِي ذَلِكَ هَمّاً وَاحِداً، فَانْظُرْ فِيمَا فَسَّرْتُ لَكَ، وإِنْ لَمْ يَجْتَمِعْ لَكَ مَا تُحِبُّ مِنْ نَفْسِكَ، وفَرَاغِ نَظَرِكَ وفِكْرِكَ، فَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا تَخْبِطُ الْعَشْوَاءَ وتَتَوَرَّطُ الظَّلْمَاءَ، ولَيْسَ طَالِبُ الدِّينِ مَنْ خَبَطَ أَوْ خَلَطَ، والإِمْسَاكُ عَنْ ذَلِكَ أَمْثَلُ فَتَفَهَّمْ يَا بُنَيَّ وَصِيَّتِي، واعْلَمْ أَنَّ مَالِكَ الْمَوْتِ هُوَ مَالِكُ الْحَيَاةِ، وأَنَّ الْخَالِقَ هُوَ الْمُمِيتُ، وأَنَّ الْمُفْنِيَ هُوَ الْمُعِيدُ وأَنَّ الْمُبْتَلِيَ هُوَ الْمُعَافِي، وأَنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ لِتَسْتَقِرَّ، إِلَّا عَلَى مَا جَعَلَهَا اللهُ عَلَيْه مِنَ النَّعْمَاءِ والِابْتِلَاءِ، والْجَزَاءِ فِي الْمَعَادِ، أَوْ مَا شَاءَ مِمَّا لَا تَعْلَمُ، فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَاحْمِلْه عَلَى جَهَالَتِكَ، فَإِنَّكَ أَوَّلُ مَا خُلِقْتَ بِه جَاهِلًا ثُمَّ عُلِّمْتَ، ومَا أَكْثَرَ مَا تَجْهَلُ مِنَ الأَمْرِ ويَتَحَيَّرُ فِيه رَأْيُكَ، ويَضِلُّ فِيه بَصَرُكَ ثُمَّ تُبْصِرُه بَعْدَ ذَلِكَ فَاعْتَصِمْ بِالَّذِي خَلَقَكَ ورَزَقَكَ وسَوَّاكَ، ولْيَكُنْ لَه تَعَبُّدُكَ، وإِلَيْه رَغْبَتُكَ ومِنْه شَفَقَتُكَ.

واعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحَداً لَمْ يُنْبِئْ عَنِ اللهِ سُبْحَانَه، كَمَا أَنْبَأَ عَنْه الرَّسُولُ ﷺ، فَارْضَ بِه رَائِداً وإِلَى النَّجَاةِ قَائِداً، فَإِنِّي لَمْ آلُكَ نَصِيحَةً.

وإِنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ فِي النَّظَرِ لِنَفْسِكَ، وإِنِ اجْتَهَدْتَ مَبْلَغَ نَظَرِي لَكَ: واعْلَمْ يَا بُنَيَّ، أَنَّه لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لأَتَتْكَ رُسُلُه، ولَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِه وسُلْطَانِه، ولَعَرَفْتَ أَفْعَالَه وصِفَاتِه، ولَكِنَّه إِلَه وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نفْسَه، لَا يُضَادُّه فِي مُلْكِه أَحَدٌ ولَا يَزُولُ أَبَداً ولَمْ يَزَلْ، أَوَّلٌ قَبْلَ الأَشْيَاءِ بِلَا أَوَّلِيَّةٍ، وآخِرٌ بَعْدَ الأَشْيَاءِ بِلَا نِهَايَةٍ، عَظُمَ عَنْ أَنْ تَثْبُتَ رُبُوبِيَّتُه بِإِحَاطَةِ

قَلْبٍ أَوْ بَصَرٍ.

فَإِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ فَافْعَلْ، كَمَا يَنْبَغِي لِمِثْلِكَ أَنْ يَفْعَلَه فِي صِغَرِ خَطَرِه، وقِلَّةِ مَقْدِرَتِه وكَثْرَةِ عَجْزِه، وعَظِيمِ حَاجَتِه إِلَى رَبِّه فِي طَلَبِ طَاعَتِه، والخُشْيَةِ مِنْ عُقُوبَتِه، والشَّفَقَةِ مِنْ سُخْطِه فَإِنَّه لَمْ يَأْمُرْكَ إِلَّا بِحَسَنٍ، ولَمْ يَنْهَكَ إِلَّا عَنْ قَبِيحٍ.

يَا بُنَيَّ إِنِّي قَدْ أَنْبَأْتُكَ عَنِ الدُّنْيَا وحَالِهَا، وزَوَالِهَا وانْتِقَالِهَا، وأَنْبَأْتُكَ عَنِ الآخِرَةِ ومَا أُعِدَّ لأَهْلِهَا فِيهَا، وضَرَبْتُ لَكَ فِيهِمَا الأَمْثَالَ، لِتَعْتَبِرَ بِهَا وتَحْذُوَ عَلَيْهَا.

إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيَا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفْرٍ، نَبَا بِهِمْ مَنْزِلٌ جَدِيبٌ، فَأَمُّوا مَنْزِلًا خَصِيباً وجَنَاباً مَرِيعاً، فَاحْتَمَلُوا وَعْثَاءَ الطَّرِيقِ وفِرَاقَ الصَّدِيقِ، وخُشُونَةَ السَّفَرِ وجُشُوبَةَ المَطْعَمِ، لِيَأْتُوا سَعَةَ دَارِهِمْ ومَنْزِلَ قَرَارِهِمْ، فَلَيْسَ يَجِدُونَ لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَلَماً، ولَا يَرَوْنَ نَفَقَةً فِيه مَغْرَماً، ولَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِمَّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنْزِلِهِمْ، وأَدْنَاهُمْ مِنْ مَحَلَّتِهِمْ.

ومَثَلُ مَنِ اغْتَرَّ بِهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانُوا بِمَنْزِلٍ خَصِيبٍ، فَنَبَا بِهِمْ إِلَى مَنْزِلٍ جَدِيبٍ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَه إِلَيْهِمْ ولَا أَفْظَعَ عِنْدَهُمْ، مِنْ مُفَارَقَةِ مَا كَانُوا فِيه، إِلَى مَا يَهْجُمُونَ عَلَيْه ويَصِيرُونَ إِلَيْه.

يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وبَيْنَ غَيْرِكَ، فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، واكْرَه لَه مَا تَكْرَه لَهَا، ولَا تَظْلِمْ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ،

وأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ، واسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُه مِنْ غَيْرِكَ، وارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاه لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ، ولَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ وإِنْ قَلَّ مَا تَعْلَمُ، ولَا تَقُلْ مَا لَا تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ.

واعْلَمْ أَنَّ الإِعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ وآفَةُ الأَلْبَابِ، فَاسْعَ فِي كَدْحِكَ ولَا تَكُنْ خَازِناً لِغَيْرِكَ، وإِذَا أَنْتَ هُدِيتَ لِقَصْدِكَ فَكُنْ أَخْشَعَ مَا تَكُونُ لِرَبِّكَ.

واعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ طَرِيقاً ذَا مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ، ومَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ، وأَنَّه لَا غِنَى بِكَ فِيه عَنْ حُسْنِ الِارْتِيَادِ، وقَدْرِ بَلَاغِكَ مِنَ الزَّادِ مَعَ خِفَّةِ الظَّهْرِ، فَلَا تَحْمِلَنَّ عَلَى ظَهْرِكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ، فَيَكُونَ ثِقْلُ ذَلِكَ وَبَالًا عَلَيْكَ، وإِذَا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادَكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَيُوَافِيكَ بِه غَداً حَيْثُ تَحْتَاجُ إِلَيْه، فَاغْتَنِمْه وحَمِّلْه إِيَّاه، وأَكْثِرْ مِنْ تَزْوِيدِه وأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْه، فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُه فَلَا تَجِدُه، واغْتَنِمْ مَنِ اسْتَقْرَضَكَ فِي حَالِ غِنَاكَ، لِيَجْعَلَ قَضَاءَه لَكَ فِي يَوْمِ عُسْرَتِكَ.

واعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ عَقَبَةً كَئُوداً، الْمُخِفُّ فِيهَا أَحْسَنُ حَالًا مِنَ الْمُثْقِلِ، والْمُبْطِئُ عَلَيْهَا أَقْبَحُ حَالًا مِنَ الْمُسْرِعِ، وأَنَّ مَهْبِطَكَ بِهَا لَا مَحَالَةَ، إِمَّا عَلَى جَنَّةٍ أَوْ عَلَى نَارٍ، فَارْتَدْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ نُزُولِكَ ووَطِّئِ الْمَنْزِلَ قَبْلَ حُلُولِكَ، فَلَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ ولَا إِلَى الدُّنْيَا مُنْصَرَفٌ.

واعْلَمْ أَنَّ الَّذِي بِيَدِه خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ، قَدْ أَذِنَ لَكَ

فِي الدُّعَاءِ، وتَكَفَّلَ لَكَ بِالإِجَابَةِ وأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَه لِيُعْطِيَكَ، وتَسْتَرْحِمَه لِيَرْحَمَكَ، ولَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وبَيْنَه مَنْ يَحْجُبُكَ عَنْه، ولَمْ يُلْجِئْكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْه، ولَمْ يَمْنَعْكَ إِنْ أَسَأْتَ مِنَ التَّوْبَةِ، ولَمْ يُعَاجِلْكَ بِالنِّقْمَةِ، ولَمْ يُعَيِّرْكَ بِالإِنَابَةِ ولَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ الْفَضِيحَةُ بِكَ أَوْلَى، ولَمْ يُشَدِّدْ عَلَيْكَ فِي قَبُولِ الإِنَابَةِ، ولَمْ يُنَاقِشْكَ بِالْجَرِيمَةِ، ولَمْ يُؤْيِسْكَ مِنَ الرَّحْمَةِ، بَلْ جَعَلَ نُزُوعَكَ عَنِ الذَّنْبِ حَسَنَةً، وحَسَبَ سَيِّئَتَكَ وَاحِدَةً، وحَسَبَ حَسَنَتَكَ عَشْراً، وفَتَحَ لَكَ بَابَ الْمَتَابِ وبَابَ الِاسْتِعْتَابِ، فَإِذَا نَادَيْتَه سَمِعَ نِدَاكَ، وإِذَا نَاجَيْتَه عَلِمَ نَجْوَاكَ، فَأَفْضَيْتَ إِلَيْه بِحَاجَتِكَ، وأَبْثَثْتَه ذَاتَ نَفْسِكَ وشَكَوْتَ إِلَيْه هُمُومَكَ، واسْتَكْشَفْتَه كُرُوبَكَ واسْتَعَنْتَه عَلَى أُمُورِكَ، وسَأَلْتَه مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِه مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى إِعْطَائِه غَيْرُه، مِنْ زِيَادَةِ الأَعْمَارِ وصِحَّةِ الأَبْدَانِ، وسَعَةِ الأَرْزَاقِ.

ثُمَّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِه، بِمَا أَذِنَ لَكَ فِيه مِنْ مَسْأَلَتِه، فَمَتَى شِئْتَ اسْتَفْتَحْتَ بِالدُّعَاءِ أَبْوَابَ نِعْمَتِه، واسْتَمْطَرْتَ شَآبِيبَ رَحْمَتِه، فَلَا يُقَنِّطَنَّكَ إِبْطَاءُ إِجَابَتِه، فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ عَلَى قَدْرِ النِّيَّةِ، ورُبَّمَا أُخِّرَتْ عَنْكَ الإِجَابَةُ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَعْظَمَ لأَجْرِ السَّائِلِ، وأَجْزَلَ لِعَطَاءِ الآمِلِ.

ورُبَّمَا سَأَلْتَ الشَّيْءَ فَلَا تُؤْتَاه، وأُوتِيتَ خَيْراً مِنْه عَاجِلًا أَوْ آجِلًا، أَوْ صُرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ، فَلَرُبَّ أَمْرٍ قَدْ طَلَبْتَه فِيه هَلَاكُ دِينِكَ لَوْ أُوتِيتَه، فَلْتَكُنْ مَسْأَلَتُكَ فِيمَا يَبْقَى لَكَ جَمَالُه، ويُنْفَى عَنْكَ وَبَالُه، فَالْمَالُ لَا

يَبْقَى لَكَ ولَا تَبْقَى لَه.

واعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّكَ إِنَّمَا خُلِقْتَ لِلآخِرَةِ لَا لِلدُّنْيَا، ولِلْفَنَاءِ لَا لِلْبَقَاءِ ولِلْمَوْتِ لَا لِلْحَيَاةِ، وأَنَّكَ فِي قُلْعَةٍ ودَارِ بُلْغَةٍ، وطَرِيقٍ إِلَى الآخِرَةِ، وأَنَّكَ طَرِيدُ الْمَوْتِ الَّذِي لَا يَنْجُو مِنْه هَارِبُه، ولَا يَفُوتُه طَالِبُه ولَا بُدَّ أَنَّه مُدْرِكُه فَكُنْ مِنْه عَلَى حَذَرٍ أَنْ يُدْرِكَكَ وأَنْتَ عَلَى حَالٍ سَيِّئَةٍ، قَدْ كُنْتَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مِنْهَا بِالتَّوْبَةِ، فَيَحُولَ بَيْنَكَ وبَيْنَ ذَلِكَ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ.

ذكر الموت:

يَا بُنَيَّ أَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ وذِكْرِ مَا تَهْجُمُ عَلَيْه، وتُفْضِي بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَيْه، حَتَّى يَأْتِيَكَ وقَدْ أَخَذْتَ مِنْه حِذْرَكَ، وشَدَدْتَ لَه أَزْرَكَ، ولَا يَأْتِيَكَ بَغْتَةً فَيَبْهَرَكَ.

وإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِمَا تَرَى مِنْ إِخْلَادِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا، وتَكَالُبِهِمْ عَلَيْهَا فَقَدْ نَبَّأَكَ اللهُ عَنْهَا، ونَعَتْ هِيَ لَكَ عَنْ نَفْسِهَا وتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ مَسَاوِيهَا، فَإِنَّمَا أَهْلُهَا كِلَابٌ عَاوِيَةٌ وسِبَاعٌ ضَارِيَةٌ، يَهِرُّ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ ويَأْكُلُ عَزِيزُهَا ذَلِيلَهَا، ويَقْهَرُ كَبِيرُهَا صَغِيرَهَا، نَعَمٌ مُعَقَّلَةٌ وأُخْرَى مُهْمَلَةٌ، قَدْ أَضَلَّتْ عُقُولَهَا ورَكِبَتْ مَجْهُولَهَا، سُرُوحُ عَاهَةٍ بِوَادٍ وَعْثٍ، لَيْسَ لَهَا رَاعٍ يُقِيمُهَا ولَا مُسِيمٌ يُسِيمُهَا، سَلَكَتْ بِهِمُ الدُّنْيَا طَرِيقَ الْعَمَى، وأَخَذَتْ بِأَبْصَارِهِمْ عَنْ مَنَارِ الْهُدَى، فَتَاهُوا فِي حَيْرَتِهَا وغَرِقُوا

فِي نِعْمَتِهَا، واتَّخَذُوهَا رَبّاً فَلَعِبَتْ بِهِمْ ولَعِبُوا بِهَا، ونَسُوا مَا وَرَاءَهَا.

الترفق في الطلب:

رُوَيْداً يُسْفِرُ الظَّلَامُ، كَأَنْ قَدْ وَرَدَتِ الأَظْعَانُ، يُوشِكُ مَنْ أَسْرَعَ أَنْ يَلْحَقَ واعْلَمْ يَا بُنَيَّ، أَنَّ مَنْ كَانَتْ مَطِيَّتُه اللَّيْلَ والنَّهَارَ، فَإِنَّه يُسَارُ بِه وإِنْ كَانَ وَاقِفاً، ويَقْطَعُ الْمَسَافَةَ وإِنْ كَانَ مُقِيماً وَادِعاً.

واعْلَمْ يَقِيناً أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمَلَكَ ولَنْ تَعْدُوَ أَجَلَكَ، وأَنَّكَ فِي سَبِيلِ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، فَخَفِّضْ فِي الطَّلَبِ وأَجْمِلْ فِي الْمُكْتَسَبِ، فَإِنَّه رُبَّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إِلَى حَرَبٍ، ولَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بِمَرْزُوقٍ، ولَا كُلُّ مُجْمِلٍ بِمَحْرُومٍ.

وأَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ، وإِنْ سَاقَتْكَ إِلَى الرَّغَائِبِ، فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ بِمَا تَبْذُلُ مِنْ نَفْسِكَ عِوَضاً.

ولَا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وقَدْ جَعَلَكَ اللهُ حُرّاً.

ومَا خَيْرُ خَيْرٍ لَا يُنَالُ إِلَّا بِشَرٍّ، ويُسْرٍ لَا يُنَالُ إِلَّا بِعُسْرٍ؟!

وإِيَّاكَ أَنْ تُوجِفَ بِكَ مَطَايَا الطَّمَعِ، فَتُورِدَكَ مَنَاهِلَ الْهُلَكَةِ، وإِنِ اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَكُونَ بَيْنَكَ وبَيْنَ اللهِ ذُو نِعْمَةٍ فَافْعَلْ، فَإِنَّكَ مُدْرِكٌ قَسْمَكَ وآخِذٌ سَهْمَكَ، وإِنَّ الْيَسِيرَ مِنَ اللهِ سُبْحَانَه أَعْظَمُ وأَكْرَمُ مِنَ الْكَثِيرِ مِنْ خَلْقِه، وإِنْ كَانَ كُلٌّ مِنْه.

وصايا شتى:

وتَلَافِيكَ مَا فَرَطَ مِنْ صَمْتِكَ، أَيْسَرُ مِنْ إِدْرَاكِكَ مَا فَاتَ مِنْ مَنْطِقِكَ، وحِفْظُ مَا فِي الْوِعَاءِ بِشَدِّ الْوِكَاءِ، وحِفْظُ مَا فِي يَدَيْكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ طَلَبِ مَا فِي يَدَيْ غَيْرِكَ.

ومَرَارَةُ الْيَأْسِ خَيْرٌ مِنَ الطَّلَبِ إِلَى النَّاسِ، والْحِرْفَةُ مَعَ الْعِفَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى مَعَ الْفُجُورِ، والْمَرْءُ أَحْفَظُ لِسِرِّه ورُبَّ سَاعٍ فِيمَا يَضُرُّه، مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ ومَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ، قَارِنْ أَهْلَ الْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ، وبَايِنْ أَهْلَ الشَّرِّ تَبِنْ عَنْهُمْ، بِئْسَ الطَّعَامُ الْحَرَامُ، وظُلْمُ الضَّعِيفِ أَفْحَشُ الظُّلْمِ، إِذَا كَانَ الرِّفْقُ خُرْقاً كَانَ الْخُرْقُ رِفْقاً.

رُبَّمَا كَانَ الدَّوَاءُ دَاءً والدَّاءُ دَوَاءً، ورُبَّمَا نَصَحَ غَيْرُ النَّاصِحِ وغَشَّ الْمُسْتَنْصَحُ.

وإِيَّاكَ والِاتِّكَالَ عَلَى الْمُنَى فَإِنَّهَا بَضَائِعُ النَّوْكَى، والْعَقْلُ حِفْظُ التَّجَارِبِ، وخَيْرُ مَا جَرَّبْتَ مَا وَعَظَكَ.

بَادِرِ الْفُرْصَةَ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ غُصَّةً، لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ يُصِيبُ ولَا كُلُّ غَائِبٍ يَئُوبُ، ومِنَ الْفَسَادِ إِضَاعَةُ الزَّادِ ومَفْسَدَةُ الْمَعَادِ، ولِكُلِّ أَمْرٍ عَاقِبَةٌ سَوْفَ يَأْتِيكَ مَا قُدِّرَ لَكَ، التَّاجِرُ مُخَاطِرٌ ورُبَّ يَسِيرٍ أَنْمَى مِنْ كَثِيرٍ لَا خَيْرَ فِي مُعِينٍ مَهِينٍ ولَا فِي صَدِيقٍ ظَنِينٍ، سَاهِلِ الدَّهْرَ مَا ذَلَّ لَكَ قَعُودُه، ولَا تُخَاطِرْ بِشَيْءٍ رَجَاءَ أَكْثَرَ مِنْه، وإِيَّاكَ أَنْ تَجْمَحَ بِكَ مَطِيَّةُ اللَّجَاجِ.

اجْعَلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ عِنْدَ صَرْمِه عَلَى الصِّلَةِ، وعِنْدَ صُدُودِه عَلَى اللُّطْفِ والْمُقَارَبَةِ، وعِنْدَ جُمُودِه عَلَى الْبَذْلِ، وعِنْدَ تَبَاعُدِه عَلَى الدُّنُوِّ، وعِنْدَ شِدَّتِه عَلَى اللِّينِ، وعِنْدَ جُرْمِه عَلَى الْعُذْرِ، حَتَّى كَأَنَّكَ لَه عَبْدٌ وكَأَنَّه ذُو نِعْمَةٍ عَلَيْكَ.

وإِيَّاكَ أَنْ تَضَعَ ذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِه، أَوْ أَنْ تَفْعَلَه بِغَيْرِ أَهْلِه، لَا تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِيقِكَ صَدِيقاً فَتُعَادِيَ صَدِيقَكَ، واحْضُضْ أَخَاكَ النَّصِيحَةَ، حَسَنَةً كَانَتْ أَوْ قَبِيحَةً، وتَجَرَّعِ الْغَيْظَ فَإِنِّي لَمْ أَرَ جُرْعَةً أَحْلَى مِنْهَا عَاقِبَةً، ولَا أَلَذَّ مَغَبَّةً، ولِنْ لِمَنْ غَالَظَكَ فَإِنَّه يُوشِكُ أَنْ يَلِينَ لَكَ، وخُذْ عَلَى عَدُوِّكَ بِالْفَضْلِ فَإِنَّه أَحْلَى الظَّفَرَيْنِ، وإِنْ أَرَدْتَ قَطِيعَةَ أَخِيكَ فَاسْتَبْقِ لَه مِنْ نَفْسِكَ، بَقِيَّةً يَرْجِعُ إِلَيْهَا إِنْ بَدَا لَه ذَلِكَ يَوْماً مَا، ومَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْراً فَصَدِّقْ ظَنَّه، ولَا تُضِيعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ اتِّكَالًا عَلَى مَا بَيْنَكَ وبَيْنَه، فَإِنَّه لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّه، ولَا يَكُنْ أَهْلُكَ أَشْقَى الْخَلْقِ بِكَ، ولَا تَرْغَبَنَّ فِيمَنْ زَهِدَ عَنْكَ، ولَا يَكُونَنَّ أَخُوكَ أَقْوَى عَلَى قَطِيعَتِكَ مِنْكَ عَلَى صِلَتِه، ولَا تَكُونَنَّ عَلَى الإِسَاءَةِ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى الإِحْسَانِ.

ولَا يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ ظُلْمُ مَنْ ظَلَمَكَ، فَإِنَّه يَسْعَى فِي مَضَرَّتِه ونَفْعِكَ، ولَيْسَ جَزَاءُ مَنْ سَرَّكَ أَنْ تَسُوءَه.

واعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ الرِّزْقَ رِزْقَانِ، رِزْقٌ تَطْلُبُه ورِزْقٌ يَطْلُبُكَ، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَأْتِه أَتَاكَ، مَا أَقْبَحَ الْخُضُوعَ عِنْدَ الْحَاجَةِ، والْجَفَاءَ عِنْدَ الْغِنَى، إِنَّمَا لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ مَا أَصْلَحْتَ بِه مَثْوَاكَ، وإِنْ كُنْتَ جَازِعاً عَلَى مَا تَفَلَّتَ مِنْ

يَدَيْكَ، فَاجْزَعْ عَلَى كُلِّ مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ، اسْتَدِلَّ عَلَى مَا لَمْ يَكُنْ بِمَا قَدْ كَانَ، فَإِنَّ الأُمُورَ أَشْبَاه، ولَا تَكُونَنَّ مِمَّنْ لَا تَنْفَعُه الْعِظَةُ إِلَّا إِذَا بَالَغْتَ فِي إِيلَامِه، فَإِنَّ الْعَاقِلَ يَتَّعِظُ بِالآدَابِ، والْبَهَائِمَ لَا تَتَّعِظُ إِلَّا بِالضَّرْبِ.

اطْرَحْ عَنْكَ وَارِدَاتِ الْهُمُومِ بِعَزَائِمِ الصَّبْرِ، وحُسْنِ الْيَقِينِ، مَنْ تَرَكَ الْقَصْدَ جَارَ، والصَّاحِبُ مُنَاسِبٌ، والصَّدِيقُ مَنْ صَدَقَ غَيْبُه، والْهَوَى شَرِيكُ الْعَمَى، ورُبَّ بَعِيدٍ أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ، وقَرِيبٍ أَبْعَدُ مِنْ بَعِيدٍ، والْغَرِيبُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَه حَبِيبٌ، مَنْ تَعَدَّى الْحَقَّ ضَاقَ مَذْهَبُه، ومَنِ اقْتَصَرَ عَلَى قَدْرِه كَانَ أَبْقَى لَه، وأَوْثَقُ سَبَبٍ أَخَذْتَ بِه، سَبَبٌ بَيْنَكَ وبَيْنَ اللهَّ سُبْحَانَه، ومَنْ لَمْ يُبَالِكَ فَهُوَ عَدُوُّكَ، قَدْ يَكُونُ الْيَأْسُ إِدْرَاكاً إِذَا كَانَ الطَّمَعُ هَلَاكاً، لَيْسَ كُلُّ عَوْرَةٍ تَظْهَرُ ولَا كُلُّ فُرْصَةٍ تُصَابُ، ورُبَّمَا أَخْطَأَ الْبَصِيرُ قَصْدَه وأَصَابَ الأَعْمَى رُشْدَه.

أَخِّرِ الشَّرَّ فَإِنَّكَ إِذَا شِئْتَ تَعَجَّلْتَه، وقَطِيعَةُ الْجَاهِلِ تَعْدِلُ صِلَةَ الْعَاقِلِ، مَنْ أَمِنَ الزَّمَانَ خَانَه ومَنْ أَعْظَمَه أَهَانَه، لَيْسَ كُلُّ مَنْ رَمَى أَصَابَ، إِذَا تَغَيَّرَ السُّلْطَانُ تَغَيَّرَ الزَّمَانُ.

سَلْ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ، وعَنِ الْجَارِ قَبْلَ الدَّارِ.

إِيَّاكَ أَنْ تَذْكُرَ مِنَ الْكَلَامِ مَا يَكُونُ مُضْحِكاً، وإِنْ حَكَيْتَ ذَلِكَ عَنْ غَيْرِكَ.

الرأي في المرأة:

وإِيَّاكَ ومُشَاوَرَةَ النِّسَاءِ، فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَى أَفْنٍ وعَزْمَهُنَّ إِلَى وَهْنٍ، واكْفُفْ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِكَ إِيَّاهُنَّ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحِجَابِ أَبْقَى عَلَيْهِنَّ، ولَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ، مِنْ إِدْخَالِكَ مَنْ لَا يُوثَقُ بِه عَلَيْهِنَّ، وإِنِ اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَعْرِفْنَ غَيْرَكَ فَافْعَلْ.

ولَا تُمَلِّكِ الْمَرْأَةَ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رَيْحَانَةٌ ولَيْسَتْ بِقَهْرَمَانَةٍ.

ولَا تَعْدُ بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا ولَا تُطْمِعْهَا فِي أَنْ تَشْفَعَ لِغَيْرِهَا.

وإِيَّاكَ والتَّغَايُرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ غَيْرَةٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُو الصَّحِيحَةَ إِلَى السَّقَمِ، والْبَرِيئَةَ إِلَى الرِّيَبِ.

واجْعَلْ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ خَدَمِكَ عَمَلًا تَأْخُذُه بِه، فَإِنَّه أَحْرَى أَلَّا يَتَوَاكَلُوا فِي خِدْمَتِكَ.

وأَكْرِمْ عَشِيرَتَكَ، فَإِنَّهُمْ جَنَاحُكَ الَّذِي بِه تَطِيرُ، وأَصْلُكَ الَّذِي إِلَيْه تَصِيرُ ويَدُكَ الَّتِي بِهَا تَصُولُ.

دعاء:

اسْتَوْدِعِ اللهَ دِينَكَ ودُنْيَاكَ، واسْأَلْه خَيْرَ الْقَضَاءِ لَكَ فِي الْعَاجِلَةِ والآجِلَةِ، والدُّنْيَا والآخِرَةِ والسَّلَامُ»[1].

(١) نهج البلاغة، تحقيق صالح: ص٣٩١.

الدرس الأول

الإنسان في هذه الدنيا

الدرس الأول

الإنسان في هذه الدنيا

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «مِنَ الْوَالِدِ الْفَانِ الْمُقِرِّ لِلزَّمَانِ الْمُدْبِرِ الْعُمُرِ، الْمُسْتَسْلِمِ لِلدُّنْيَا، السَّاكِنِ مَسَاكِنَ الْمَوْتَى والظَّاعِنِ عَنْهَا غَداً، إِلَى الْمَوْلُودِ الْمُؤَمِّلِ مَا لَا يُدْرِكُ، السَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ، غَرَضِ الأَسْقَامِ ورَهِينَةِ الأَيَّامِ، ورَمِيَّةِ الْمَصَائِبِ وعَبْدِ الدُّنْيَا وتَاجِرِ الْغُرُورِ، وغَرِيمِ الْمَنَايَا وأَسِيرِ الْمَوْتِ، وحَلِيفِ الْهُمُومِ وقَرِينِ الأَحْزَانِ، ونُصُبِ الآفَاتِ وصَرِيعِ الشَّهَوَاتِ وخَلِيفَةِ الأَمْوَاتِ».

تمهيد:

عندما أراد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن يشرع بالوصية لابنه الإمام الحسن عليه السلام، كان من الطبيعي أن يبدأ بتعريف هذه الدنيا التي تمثل الساحة التي يعيش فيها الإنسان، ما هي ظروف هذه الساحة ومخاطرها وعلاقة الإنسان بها؟ فإن الإنسان إذا عرف هذه الساحة وطبيعتها ومقدار علاقته بها، فإن ذلك كله سيحدد له السلوك والمسار في هذه الدنيا، وهذا في الحقيقة تأسيس لكل ما يأتي بعد ذلك في الوصية.

وفي شرح الإمام عليه السلام لهذه الدنيا وطبيعتها وعلاقة الإنسان بها أشار إلى جوانب متعددة نشرحها فيما يلي:

أولاً: مخاطر الحياة

إن الإنسان في هذه الحياة الدنيا يواجه العديد من التحديات التي تواجهه، وهي تحديات متعددة ومتنوعة، ومعرفتها بداية الطريق لتجهيز النفس لمواجهتها، فمن هذه الأمور التي أشار إليها أمير المؤمنين عليه السلام:

- «**رَهِينَةِ الأَيَّامِ**».

الرهينة هو الأسير، فالإنسان أسير لهذه الأيام، تتحكم به وبمصيره، فكما أن الأسير لا يعلم ما يكون مصيره، بل أمره بيد آسره، فكذلك حال الإنسان في هذه الدنيا، هو أسير لما يمرّ عليه من الأيام.

- «**غَرَضِ الأَسْقَامِ**».

الإنسان كالهدف لآفات الدنيا وأعراضها، ومن النادر أن يسلم من الإصابة بمرض ما، بل ونحن نعيش اليوم رغم التطور الطبي حالات مرضية جديدة، وأمراضاً لم نكن نسمع بها من قبل.

ولكن لماذا يمرض الإنسان؟ لا شك في وجود عوامل وأسباب طبيعية وتكوينية للمرض، ولكنها ليست السبب الوحيد في مرض الإنسان وموته، ولذا ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام جواباً منه للزنديق الذي سأله عن المرض قال له الإمام عليه السلام: «**تزعم أن من أحسن السياسة لبدنه، وأجمل النظر في أحوال نفسه، وعرف الضار مما يأكل من النافع، لم يمرض... قد مات أرسطا طاليس معلم الأطباء، وأفلاطون رئيس الحكماء وجالينوس شاخ ودق بصره، وما دفع الموت حين نزل بساحته**»[1].

وفي نفس هذه الرواية يذكر الإمام عليه السلام أن المرض على وجوه شتى: «**مرض بلوى، ومرض العقوبة، ومرض جعل عليه الفناء**»[2].

- «**ونُصُبِ الآفَاتِ**».

الآفة هي العاهة والتي يصاب بها الإنسان فتعطل له بعض حواسه ولا يتمكن من العيش كسائر الناس، وكل إنسان هو في

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج١٠، ص١٧٢.

(٢) المصدر السابق.

معرض الإصابة فيها، فلذا كان الإنسان نصبها أي لا يفارقها.

والآفات هي من الأمور التي يبتلي بها الله عز وجل عباده ليختبرهم فيعرف درجات إيمانهم، ومقدار صبرهم.

- «**ورَمِيَّةِ الْمُصَائِبِ**».

أما الرمية فهي عبارة عما يرمى، فالمصائب تجعل من هذه الإنسان أداة ترمي بها، والمصائب التي تحل على هذا الإنسان عديدة وكثيرة، تعظم أحيانا وتصغر أخرى، ولكنها جميعاً تقذف هذا الإنسان إلى حيث لا يحب ولا يريد.

لماذا المصائب والآفات والأمراض؟

إن في هذه المصائب التي يرمى بها الإنسان حكمة ربانية، وقد نَصَّ عليها الله عز وجل في كتابه الكريم بقوله: ﴿**مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنْ الطَّيِّبِ**﴾[1].

ولكن ما هو الموقف الذي على المؤمن أن يسير عليه عندما ترمي به المصائب والابتلاءات؟ إنه الصبر والرضا بقضاء الله عز وجل، وتكرار الآية الكريمة: ﴿**الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾[2] والوعد الذي يصل إليه الإنسان نتيجة ثباته على البلاء على ما ورد في كتاب الله: ﴿**أُولئك عليْهِمْ صلواتٌ منْ ربّهِمْ ورحْمةٌ**

(١) سورة آل عمران: آية١٧٩.

(٢) سورة البقرة: آية١٥٦.

وأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[١].

ثانياً: ماذا نربح من الدنيا؟

تحدثنا عن كون الإنسان في الدنيا هدفاً للمصائب والابتلاءات، وهذه نظرة لزاوية من زوايا الدنيا، ولكن في الدنيا أيضاً الكثير من الأمور التي يحبها الإنسان ويطلبها، بل ربما يصرف عمره كله في طلبها، فتستحوذ على قلبه ونفسه، فهل لهذه الأمور الدنيوية قيمة حقيقة؟

- «**وتَاجِرِ الْغُرُورِ**».

إن الإنسان المتعلق بهذه الدنيا هو كالتاجر الذي يظن الربح فيما يقوم به في هذه الدنيا، فهو يحسب أن ما يقوم به مما فيه مكاسب دنيوية هو أمر خالد وسيبقى، مع أن الدنيا كلها فانية لا بقاء لها. وخير شاهد على كون هذا الشخص ممن اغتر، هو أنه يخاف الموت، وذلك لأنه يرى فيه انقطاع كل ما سعى إليه، وبذل في سبيله كل غال ونفيس.

ومن أفضل الأوصاف لذلك، هذه الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنكم إن رغبتم في الدنيا أفنيتم أعماركم فيما لا تبقون له ولا يبقى لكم**»[٢].

- «**وحَلِيفِ الهُمُومِ وقَرِينِ الأَحْزَانِ**».

الهمُّ يصيب الإنسان عندنا يتملكه القلق والخوف من فقدان

(١) سورة البقرة: آية١٥٧.

(٢) عيون الحكم والمواعظ، الواسطي: ص١٧٥.

محبوب ومرغوب، فالغني يحمل هَمَّ وخوفَ الخسارة والفقر، وصاحب المكانة الاجتماعية يحمل هَمَّ خسارتها... ويتملكه أيضاً عندما يستهدف تحصيل هذا المحبوب والمرغوب، فهو بين هَمٍّ فقدان ما لديه لأنه رهينة الأيام، وهَمٍّ تحصيل ما يستهدفه لأن الدنيا كماء البحر الذي لن يشبع منه ولن يتوقف عند حدود معينة من الطلب، بل سيبقى يركض ويلهث وراء ما لم يحصل عليه حتى الآن...، وهو قرين الأحزان، لشعوره بالنقص والخسارة، فالذي لا يملك يحزن لأنه لا يملك، والذي يملك ويخسر يحزن لخسارته، والذي لا يملك ولم يخسر بعد يحزن لعدم ملكه ما هو خارج عن يده...

فالإنسان في هذه الدنيا كأنه متحالف مع الهموم ومقترن مع الأحزان، في أي موقع كان وضمن أي إطار.

ثالثاً: التعلّق بالدنيا

رغم كون الدنيا مكان المصائب والابتلاءات ورغم كونها لا ربح دنيوياً حقيقياً فيها، نجد أن الكثير من الناس ارتبطوا بهذه الدنيا وتعلقوا بها بشكل يتنافى مع صفاتها الحقيقية، وكان وصف أمير المؤمنين عليه السلام لهذه العلاقة بعدة عبارات:

- «**وعَبْدِ الدُّنْيَا**».

إنه أعظم وصف لهذا الإنسان الذي يتعلق بهذه الدنيا، إنه يتعلق بها إلى حد العبودية لها فهو على استعداد تام للقيام بكل ما يسهّل له

سبيل الوصول إلى إدراكها ونيلها.

ولكن المأساة إنه يعبد ما لا ينفعه إلا بنحو مؤقت، بل يعبد ما هو في ظاهرة جميل وفي باطنه قبيح إلى حد وصف أمير المؤمنين عليه السلام لها بقوله: «**جِيفَةٍ قَدِ افْتَضَحُوا بِأَكْلِهَا**»[1].

ويصف الإمام علي عليه السلام هذا الشخص العابد لهذه الدنيا بقوله: «**قَدْ خَرَقَتِ الشَّهَوَاتُ عَقْلَه، وأَمَاتَتِ الدُّنْيَا قَلْبَه، ووَلِهَتْ عَلَيْهَا نَفْسُه، فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا، ولَمِنْ فِي يَدَيْه شَيْءٌ مِنْهَا، حَيْثُمَا زَالَتْ زَالَ إِلَيْهَا، وحَيْثُمَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَ عَلَيْهَا...**»[2].

وأما أفضل وسيلة للتحرر من هذه العبودية للدنيا فهي الابتعاد عن لذائذها، وزخرفها وزبرجها، حتى لا يشتد تأثر قلبه وتعلقه بها وحبه لها، إلى أن يتجه القلب كلياً نحو الدنيا وزخارفها الفانية.

- «**وصَرِيعِ الشَّهَوَاتِ**».

إنه الإنسان المستسلم لشهواته فهو قد صارعها بنفسه لمّا دعته إليها، ولكن الغلبة والنصر كانت للشهوة وللنفس الأمّارة، على العقل وعلى النفس المطمئنة، إنه العقل، متى انهزم أمام الشهوة أصبح أسيراً، وقد ورد عن الإمام علي عليه السلام قوله: «**كَمْ مِنْ عَقْلٍ أَسِيرٍ تَحْتَ هَوَى**

(١) نهج البلاغة، تحقيق صالح: الخطبة ١٠٩، ص١٥٩.
(٢) المصدر السابق: الخطبة ١٠٩، ص١٦٠.

أَمِيرٍ»[١].

ويكفي للإنسان لكي ينصر النفس المطمئنة على النفس الأمارة، وليجعل من الشهوة صريعة، أن يفكر في عاقبة الشهوة، وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «**أول الشهوة طرب، وآخرها عطب**»[٢].

رابعاً: الدنيا ممر

إن أجلى وأوضح حقيقة للدنيا أنها غير دائمة، وأنها زائلة، وأن الإنسان مهما سعى وحصّل فيها واغتر بمفاتنها، فإنه في نهاية الأمر سيتركها، بل ويدخل في تلك الحفرة الصغيرة نافضاً يديه من كل ما فيها، فالإنسان في الحقيقة هو:

- «**وغَرِيمِ المُنَايَا وأَسِيرِ المَوْتِ**».

إن حال الإنسان مع الموت، هو حال الشخص المديون، الذي حل وقت أدائه للدين، ولكنه يسعى للفرار من الدائن، ويخاف أن يلتقي به، فالموت هو أشد ما يخاف منه الإنسان، وهو الذي يلاحق هذا الإنسان، ﴿**قُلْ إنّ الْمَوْت الّذي تفرُّون منْهُ فإنّهُ مُلاقيكُمْ ثُمّ تُردُّون إلى عالم الْغيْب والشّهادة فيُنبّئُكُمْ بما كُنتُمْ تعْملُون**﴾[٣].

---

(١) نهج البلاغة، تحقيق صالح: ص٥٠٦.

(٢) عيون الحكم والمواعظ، الواسطي: ص١١٢.

(٣) سورة الجمعة: آية٨.

- «وخَلِيفَةِ الأَمْوَاتِ»

إنها أوجز عبارة تدفع الإنسان لترك التعلق بهذه الدنيا، فإذا فكر الإنسان في أن كل ما يصل إليه كان مع من سبقه وهو ورثه منه، وأما ذلك الميت فقد انقطع عنه، ولم يعد ينتفع بها عرف كيف يحسن التصرف فيه بما يكون نفعه له في يوم القيامة، فالميت يرحل ويرثه حي آخر، وهذه سُنّة البشر منذ أن خلق الله عز وجل آدمعليه السلام وإلى يوم القيامة.

هل الدنيا هدفك النهائي؟

كل هذه الصفات التي أوردها أمير المؤمنينعليه السلام ليصل بنا إلى نتيجة باتت واضحة، خلاصتها أن هذه الدنيا ليست أهلاً لأن تكون هدفاً نهائياً للإنسان، ربما تكون متاعاً يستفيد منه في أيامه هذه، وطريقاً يسلك به إلى آخرته التي تنتظره، ولكنها بالتأكيد ليست الهدف الذي ينبغي على الإنسان أن يدور في فلكه.

وإذا حدد الإنسان هدفه هانت المسيرة بعد ذلك.

الدرس الثاني

حياة القلب

الدرس الثاني

حياة القلب

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ وأَمِتْه بِالزَّهَادَةِ، وقَوِّه بِالْيَقِينِ ونَوِّرْه بِالْحِكْمَةِ، وذَلِّله بِذِكْرِ الْمَوْتِ وقَرِّرْه بِالْفَنَاءِ، وبَصِّرْه فَجَائِعَ الدُّنْيَا، وحَذِّرْه صَوْلَةَ الدَّهْرِ وفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي والأَيَّامِ، واعْرِضْ عَلَيْه أَخْبَارَ الْمَاضِينَ، وذَكِّرْه بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الأَوَّلِينَ، وسِرْ فِي دِيَارِهِمْ وآثَارِهِمْ، فَانْظُرْ فِيمَا فَعَلُوا وعَمَّا انْتَقَلُوا وأَيْنَ حَلُّوا ونَزَلُوا، فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ قَدِ انْتَقَلُوا عَنِ الأَحِبَّةِ، وحَلُّوا دِيَارَ الْغُرْبَةِ، وكَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ».

تمهيد:

لقد اهتمّ الإسلام بقلب الإنسان اهتماماً بالغاً، حتى نزلت الكثير من آيات القرآن الكريم لتشرح أهمية القلب ودوره.

فالقلب هو المعيار المُميِّز بين الإنسان الصالح وغيره، يقول تعالى: **﴿ومن النّاس من يُعْجبُك قوْلُهُ في الْحياة الدُّنْيا ويُشْهدُ اللهّ على ما في قلْبه وهُو ألدُّ الْخصام﴾**(١).

وببركة هذا القلب يستطيع الإنسان أن يميّز بين الحق والباطل: **﴿هُو الّذي أنزل عليْك الْكتاب منْهُ آياتٌ مُّحْكماتٌ هُنّ أُمُّ الْكتاب وأُخرُ مُتشابهاتٌ فأمّا الّذين في قُلُوبهمْ زيْغٌ فيتّبعُون ما تشابه منْهُ ابْتغاء الْفتْنة وابْتغاء تأْويله وما يعْلمُ تأْويلهُ إلاّ اللهُ والرّاسخُون في الْعلْم يقُولُون آمنّا به كُلٌّ مّنْ عند ربّنا وما يذّكّرُ إلاّ أُوْلُواْ الألْباب﴾**(٢).

وأما من أصاب قلبه المرض فإنه سَيُسلب التوفيق، وسيزداد مرضاً وبعداً عن الله تعالى حتى يصل إلى العذاب الأليم **﴿في قُلُوبهم مّرضٌ فزادهُمُ اللهُ مرضاً ولهُم عذابٌ أليمٌ بما كانُوا يكْذبُون﴾**(٣).

وكذلك من قسا قلبه، فإنه تسلب عنه كلّ بركة **﴿ثُمّ قستْ قُلُوبُكُم مّن بعْد ذلك فهي كالْحجارة أوْ أشدُّ قسْوةً وإنّ من الْحجارة لما**

(١) سورة البقرة: آية٢٠٤.
(٢) سورة آل عمران: آية٧.
(٣) سورة البقرة: آية١٠.

يتفجّرُ منْهُ الأنْهارُ وإنّ منْها لما يشّقّقُ فيخْرُجُ منْهُ الْماء وإنّ منْها لما يهْبطُ منْ خشْية اللهّ وما اللهُ بغافلٍ عمّا تعْملُون﴾[1].

وبالنتيجة فإنه سيخسر آخرته وسيستحق الغضب الإلهي والعذاب الأليم، **﴿إنّ الّذين كفرُواْ سواءٌ عليْهمْ أأنذرْتهُمْ أمْ لمْ تُنذرْهُمْ لا يُؤْمنُون * ختم اللهُ على قُلُوبهمْ وعلى سمْعهمْ وعلى أبْصارهمْ غشاوةٌ ولهُمْ عذابٌ عظيمٌ﴾**[2].

وأما صاحب القلب الحي فإنه كالأرض الصالحة الزكية التي تثمر فيها أشجار السعادة وتحيى بربيع دائم: **﴿وإذا ما أُنزلتْ سُورةٌ فمنْهُم مّن يقُولُ أيُّكُمْ زادتْهُ هذه إيمانًا فأمّا الّذين آمنُواْ فزادتْهُمْ إيمانًا وهُمْ يسْتبْشرُون* وأمّا الّذين في قُلُوبهم مّرضٌ فزادتْهُمْ رجْسًا إلى رجْسهمْ وماتُواْ وهُمْ كافرُون﴾**[3].

فالقلب إذن له الكلمة الفصل في مصير سلوك الإنسان في الدنيا ومصيره في الآخرة، وقد عَلَّمنا الله تعالى في كتابه الكريم أن ندعو بثبات هذه القلوب على الحق **﴿ربّنا لا تُزغْ قُلُوبنا بعْد إذْ هديْتنا وهبْ لنا من لّدُنك رحْمةً إنّك أنت الْوهّابُ﴾**[4]، من هنا كيف نستطيع أن نُبعد هذا القلب عن مهالكه، ونُؤمّن له ما يحميه ويَقوّي دوره الصحيح

(١) سورة البقرة: آية٧٤.
(٢) سورة البقرة: آية٦-٧.
(٣) سورة التوبة: آية١٢٤-١٢٥.
(٤) سورة آل عمران: آية٨.

في حياتنا؟ يكون ذلك من خلال منع أسباب الظلمات، وبعث النور في القلب من جديد، وتقويته في مواجهة الفتن والتحديات.

الأمر الأول: أسباب الظلمات ورفعها:

هناك العديد من الأمور التي تتسبب بالظلمات في القلب، أشار إليها أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته هذه، أو أشارت إليها الآيات القرآنية، لا بد من التعرف عليها لرفعها، والوقوف بوجهها، لما تشكله من خطر على هذا القلب، ومن هذه الأمور:

١- حب الدنيا:

﴿واصْبِرْ نفْسك مع الّذين يدْعُون ربّهُم بالْغداة والْعشيّ يُريدُون وجْههُ ولا تعْدُ عيْناك عنْهُمْ تُريدُ زينة الْحياة الدُّنْيا ولا تُطعْ منْ أغْفلْنا قلْبهُ عن ذكْرنا واتّبع هواهُ وكان أمْرُهُ فُرُطًا﴾[1].

إن التعلق بالدنيا وحبها يفسد القلب، ويجعله ساحة سهلة أمام زمر الشيطان، من هنا لا بد للإنسان المؤمن من أن يقطع هذا التعلق بالدنيا الذي يجعلها هدفاً وغاية بدل الآخرة، وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله «**وأمته بالزهادة**» فلإماتة هذا الافتتان بالدنيا طريق هو عبارة عن الزهد، والزهد يحصل من خلال المعرفة، أي الإدراك والإيمان بأن هذه الدنيا ليست هي الهدف والغاية، بل هي منقطعة

(١) سورة الكهف: آية٢٨.

وليست سوى طريق للآخرة، وقد ورد في الرواية عن الإمام علي عليه السلام: «**أعرفُ الناس بالزهادة من عرف نقص الدنيا**»[١].

وهناك رواية عن الإمام الصادق عليه السلام يشرح فيها معالم الزهد: «**الزهد مفتاح باب الآخرة، والبراءة من النار، وهو تركك كل شيء يشغلك عن الله، من غير تأسف على فوتها، ولا إعجاب في تركها، ولا انتظار فرج منها، ولا طلب محمدة عليها، ولا عوض منها، بل ترى فوتها راحة، وكونها آفة، وتكون أبداً هارباً من الآفة، معتصماً بالراحة**»[٢].

٢- ارتكاب المعاصي:

سلوك الإنسان يُؤثّر في القلب أيضاً، فإن كان سلوكاً سيئاً يخالف حكم الله تعالى وإرشادات الإسلام، فإنه سيملأ القلب ظلاماً وحجباً، وهذا ما تُؤكّده العديد من الآيات القرآنية، كالآيات التالية: ﴿**كلّا بلْ ران على قُلُوبهم مّا كانُوا يكْسبُون**﴾[٣].

﴿**أولمْ يهْد للّذين يرثُون الأرْض من بعْد أهْلها أن لّوْ نشاء أصبْناهُم بذُنُوبهمْ ونطْبعُ على قُلُوبهمْ فهُمْ لا يسْمعُون**﴾[٤].

﴿**فأعْقبهُمْ نفاقًا في قُلُوبهمْ إلى يوْم يلْقوْنهُ بما أخْلفُواْ الله ما وعدُوهُ**

---

(١) عيون الحكم والمواعظ، الواسطي: ص١٢٢.
(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٦٧، ص٣١٥.
(٣) سورة المطففين: آية١٤.
(٤) سورة الأعراف: آية١٠٠.

وبما كانُواْ يكْذبُون﴾[1].

٣- ترك الجهاد في سبيل الله:

﴿وإذآ أُنزلتْ سُورةٌ أنْ آمنُواْ بالله وجاهدُواْ مع رسُوله اسْتأْذنك أُوْلُواْ الطّوْل منْهُمْ وقالُواْ ذرْنا نكُن مّع الْقاعدين* رضُواْ بأن يكُونُواْ مع الْخوالف وطُبع على قُلُوبهمْ فهُمْ لا يفْقهُون﴾[2].

إن التخلف عن الجهاد في سبيل الله والقعود عن نصرة دينه وترك مواجهة الظالمين، له تبعات خطيرة جداً في الدنيا والآخرة، وما يهمنا الإشارة إليه الآن أثره في القلب، حيث تصرح هذه الآية الكريمة، أن هؤلاء القاعدين المتخلفين عن الجهاد طُبع على قلوبهم.

ومن الطبيعي أن الذي يعيد الحياة للقلب، المشاركة في الجهاد،لذلك نجد الإنسان المجاهد أكثر نوراً، وأَلْيَن قلباً، وأقرب إلى الله تعالى.

٤- التَخلّي عن الفرص الإلهية:

إن الله تعالى يُوفّق الإنسان خلال حياته للكثير من الفرص التي لو استغلها لجعلته أقرب إلى ساحة رضا الله تعالى، وترك الفرص بالإضافة إلى كونه خسارة لفرصة قد لا تعود، هو أيضاً سبب من

---

(١) سورة التوبة: آية٧٧.

(٢) سورة التوبة: آية٨٦ - ٨٧.

أسباب موت القلوب وظلامها، يقول تعالى ﴿**تلْك الْقُرى نقُصُّ عليْك منْ أنبآئها ولقدْ جاءتْهُمْ رُسُلُهُم بالْبيّنات فما كانُواْ ليُؤْمنُواْ بما كذّبُواْ من قبْلُ كذلك يطْبعُ اللهُ على قُلُوب الْكافرين**﴾[1].

الأمر الثاني: بعث النور في القلب من جديد

للقلب حياة وموت، فكم من إنسان حي ببدنه يعيش في هذه الأرض ولكنه ميت القلب، لا يشعر بالآخرة ولا يرى أمامه سوى هذه الدنيا. وأما لو كان القلب حياً فإن سائر أعضاء هذا الجسد سوف تنبض بالحياة لأنه هو المُوجّه لها وهي مطيعة له ولذا ورد في رواية عن النبي ﷺ: «**القلب ملك وله جنود، فإذا صلح الملك صلحت جنوده، وإذا فسد الملك فسدت جنوده**»[2].

إن كل مكان تركته زمر الشيطان، علينا أن نسلط جنود الرحمان عليه من جديد، وكل مكان أزلنا أسباب الظلام عنه، يجب أن نفتح أبوابه أمام شعاع النور.

وبعد أن عرضنا شيئاً من أسباب الظلام وموت القلوب لمنعها، نستعرض أموراً تساعد على بعث النور في القلب وإحياءه من جديد.

---

(١) سورة الأعراف: آية١٠١.

(٢) كنز العمال، المتقي الهندي: ج١، ص٢٤٠.

١- ذكر الله:

هذا الذكر الذي يتجلى ألفاظاً على اللسان هو أيضاً بحقيقته يقين في القلوب، هذا اليقين الذي يقوّي القلب، ويبعث فيه النور «**قوه باليقين**»، قال تعالى: ﴿**إنّما المُؤْمنُون الّذين إذا ذُكر اللهُ وجلتْ قُلُوبُهُمْ وإذا تُليتْ عليْهمْ آياتُهُ زادتْهُمْ إيمانًا وعلى ربّهمْ يتوكّلُون**﴾[1].

واليقين: هو درجة شديدة من الإيمان،فقد ورد في الرواية الترتيب التالي:عن أبي جعفر عليه السلام: «**إِنَّمَا هُوَ الإِسْلَامُ والإِيمَانُ فَوْقَه بِدَرَجَةٍ والتَّقْوَى فَوْقَ الإِيمَانِ بِدَرَجَةٍ والْيَقِينُ فَوْقَ التَّقْوَى بِدَرَجَةٍ ولَمْ يُقْسَمْ بَيْنَ النَّاسِ شَيْءٌ أَقَلَّ مِنَ الْيَقِينِ**»[2].

من هنا نعلم كيف يعطي اليقين قوة القلب لدى هذا الإنسان، إنه الإدراك التام لما يترتب على الأفعال من مصالح ومفاسد، ولذا فإن صاحب اليقين لا يُقدم على التجاوز عن ذلك للمعرفة التامة، فمن يتيقن بأن النار مُحرِقة لن يُقدم على رمي نفسه فيها.

٢- الحكمة: -«ونَوِّرْه بِالْحِكْمَةِ».

قال الله عزوجل تعالى: ﴿**يُؤْتي الْحِكْمة منْ يشاءُ ومنْ يُؤْت الْحِكْمة فقدْ أُوتي خيْراً كثيراً وما يذّكّرُ إلاّ أُوْلُوا الألْباب**﴾[3].

(١) سورة الأنفال: آية٢.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني: ج٢، ص٥٢.

(٣) سورة البقرة: آية٢٦٩.

فالحكمة أولاً هي من عند الله، وكل ما كان من عند الله فلا بد وأن يكون خيراً لأنه مصدر كل خير، وقد وصف الله عز وجل هذا الخير بأنه كثير، فإذا كان الوصف القرآني له بهذا النحو فهذا يعني أنه من الكثرة ما لا يتصوره الإنسان.

وأما ما هي الحكمة؟ فهذا ما يفسّره الإمام الصادق عليه السلام كما في الرواية: «**إن الحكمة المعرفة والتفقه في الدين، فمن فقه منكم فهو حكيم**»[1].

وفي رواية لبيان طريق نيل الحكمة، ورد في حديث المعراج: «**يا أحمد! إن العبد إذا أجاع بطنه وحفظ لسانه عَلَّمته الحكمة، وإن كان كافراً تكون حكمته حجة عليه ووبالاً، وإن كان مؤمناً تكون حكمته له نوراً وبرهاناً وشفاءً ورحمةً، فيعلم ما لم يكن يعلم ويبصر ما لم يكن يبصر، فأول ما أُبصِّره عيوبَ نفسه حتى يشتغل عن عيوب غيره، وابصره دقائقَ العلم حتى لا يدخل عليه الشيطان**»[2].

٣- الموعظة: -«أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ...وذَلِّله بِذِكْرِ الْمَوْتِ وقَرِّرْه بِالْفَنَاءِ، وبَصِّرْه فَجَائِعَ الدُّنْيَا».

والموعظة هي التذكير بالآخرة وبالمصير الذي لا بد وأن يصل

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج١، ص٢١٥.
(٢) المصدر السابق: ج٧٤، ص٢٩.

إليه كل إنسان، فإذا سمع ذلك الإنسان لجأ إلى التوبة، وبها حياة القلب، ولذا نقرأ في دعاء الإمام السجاد عليه السلام: «**إلهي ألبستني الخطايا ثوب مذلتي، وجللني التباعد منك لباس مسكنتي، وأمات قلبي عظيم جنايتي، فأحيه بتوبة منك يا أملي وبغيتي**»[1].

الأمر الثالث: تقوية القلب

على الإنسان أن يصنع للقلب دفاعات وحواجز تقيه وتحرسه في مواجهة تحديات الدنيا، ويكون ذلك من خلال بعض الأمور التي أشار إليها الإمام عليه السلام في وصيته:

١ - التذكير: -«واعْرِضْ عَلَيْه أَخْبَارَ الْمَاضِينَ، وذَكِّرْه بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الأَوَّلِينَ، وسِرْ فِي دِيَارِهِمْ وآثَارِهِمْ».

تتضمن هذه الكلمات بيانا لأفضل طريق يمكن أن يسلكه الإنسان في تربية النفس في حالاته كافة، فإن كان غنياً قد أنعم الله عليه، ونظر إلى من كان قبله من الأغنياء والمترفين من الأمم السالفة علم أن مصير ذلك كله إلى زوال. وإن كان فقيراً أو مبتلى علم بأن هذه الدنيا لا تدوم لأحد ولم يكن الخلود نصيب أحد فيها.

قال تعالى: ﴿**قَدْ خلتْ منْ قبْلكُمْ سُننٌ فسيرُوا في الأرْض فانْظُروا**

---

(١) الصحيفة السجادية، أبطحي: مناجاة التائبين ص٤٠١.

كيْف كان عاقبةُ المُكذّبين﴾[1].

إن لله في الأمم سننا لا تختص بهم، بل هي قوانين وسنن عامة في الحياة تجري على الحاضرين كما جرت على الماضين سواء بسواء، وهي سنن للتَقدّم والبقاء، وسنن للتَدهّور والاندحار، التقدم للمؤمنين المجاهدين المتحدين الواعين، والتدهور والاندحار للأمم المتفرقة المتشتتة الكافرة الغارقة في الذنوب والآثام.

وفي موضع آخر من نهج البلاغة يقول الإمام علي عليه السلام: **«واحْذَرُوا مَا نَزَلَ بِالأُمَمِ قَبْلَكُمْ، مِنَ الْمَثُلَاتِ بِسُوءِ الأَفْعَالِ وذَمِيمِ الأَعْمَالِ، فَتَذَكَّرُوا فِي الْخَيْرِ والشَّرِّ أَحْوَالَهُمْ، واحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ، فَإِذَا تَفَكَّرْتُمْ فِي تَفَاوُتِ حَالَيْهِمْ، فَالْزَمُوا كُلَّ أَمْرٍ لَزِمَتِ الْعِزَّةُ بِه شَأْنَهُمْ، وزَاحَتِ الأَعْدَاءُ لَه عَنْهُمْ، ومُدَّتِ الْعَافِيَةُ بِه عَلَيْهِمْ، وانْقَادَتِ النِّعْمَةُ لَه مَعَهُمْ ووَصَلَتِ الْكَرَامَةُ عَلَيْه حَبْلَهُمْ، مِنَ الِاجْتِنَابِ لِلْفُرْقَةِ واللُّزُومِ لِلأُلْفَةِ، والتَّحَاضِّ عَلَيْهَا والتَّوَاصِي بِهَا، واجْتَنِبُوا كُلَّ أَمْرٍ كَسَرَ فِقْرَتَهُمْ وأَوْهَنَ مُنَّتَهُمْ، مِنْ تَضَاغُنِ الْقُلُوبِ وتَشَاحُنِ الصُّدُورِ، وتَدَابُرِ النُّفُوسِ وتَخَاذُلِ الأَيْدِي...»**[2].

---

(١) سورة آل عمران: آية١٣٧.

(٢) نهج البلاغة، تحقيق صالح: ص٢٩٦.

٢- التحذير: -«وحَذِّرْه صَوْلَةَ الدَّهْرِ وفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي والأَيَّامِ».

لا يعيش الإنسان في حياته بدوام السرور بل تتقلب به الأيام وتعصف به يميناً ويساراً، فتارة يكون بأتمّ الصحة وأخرى تجده يعاني الأمرين من المرض، وتارة تجده غنياً موفور النعمة وأخرى تجده فقيراً معدماً، وهكذا... تتقلب به الأيام من حال إلى حال، وهذا الاختلاف يصفه أمير المؤمنين عليه السلام بأنه يكون فاحشاً، أي كبيراً وعظيماً، لا يسيراً وسهلاً.

والإمام عليه السلام يدعو لتربية النفس على تحمّل هذه التقلبات التي يصاب بها الإنسان، بنحو لا تُخرجه عن طاعة الله إلى معصيته أو عن الإيمان إلى الكفر.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**ما أُعطي عبد من الدنيا إلا اعتبارا، وما زُوي عنه إلا اختبارا**»[1].

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ج٢، ص٢٦١.

الدرس الثالث

النصيحة وضرورة استماعها

الدرس الثالث

النصيحة وضرورة استماعها

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «بَادَرْتُ بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ، وأَوْرَدْتُ خِصَالًا مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَعْجَلَ بِي أَجَلِي، دُونَ أَنْ أُفْضِيَ إِلَيْكَ بِمَا فِي نَفْسِي، أَوْ أَنْ أُنْقَصَ فِي رَأْيِي كَمَا نُقِصْتُ فِي جِسْمِي، أَوْ يَسْبِقَنِي إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ الْهَوَى وفِتَنِ الدُّنْيَا، فَتَكُونَ كَالصَّعْبِ النَّفُورِ. وإِنَّمَا قَلْبُ الْحَدَثِ كَالأَرْضِ الْخَالِيَةِ، مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبِلَتْه.

فَبَادَرْتُكَ بِالأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُوَ قَلْبُكَ، ويَشْتَغِلَ لُبُّكَ لِتَسْتَقْبِلَ بِجِدِّ رَأْيِكَ مِنَ الأَمْرِ، مَا قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُغْيَتَه وتَجْرِبَتَه، فَتَكُونَ قَدْ كُفِيتَ مَئُونَةَ الطَّلَبِ، وعُوفِيتَ مِنْ عِلَاجِ التَّجْرِبَةِ، فَأَتَاكَ مِنْ ذَلِكَ مَا قَدْ كُنَّا نَأْتِيه، واسْتَبَانَ لَكَ مَا رُبَّمَا أَظْلَمَ عَلَيْنَا مِنْه».

تمهيد:

النصيحة هي من أهم ما يمكن أن يهديه الإنسان لأخيه المؤمن، فهي تصدر عنه من خالص المحبة ولذا ورد في الحديث: «**ناصحك مشفق عليك، محسن إليك، ناظر في عواقبك، مستدرك فوارطك، ففي طاعته رشادك، وفي مخالفته فسادك**»[١]، والنصيحة إن جاءت من الأب لولده كانت أزيد شفقة ومحبة من النصيحة التي تأتي من غيره، والإمام عليه السلام في الوقت الذي يوجه النصيحة لولده الإمام الحسن عليه السلام، يمهّد لذلك بذكر الأسباب التي دعته إلى اختيار ذلك الوقت لأجل توجيه النصيحة لولده، مبيّنا أنه لو تأخر في أداء تلك النصيحة عن ذلك الوقت، فإن ذلك سوف يؤدي إلى ضياع النصيحة، لأنها سوف تتأخر عن وقتها الذي كان ينبغي أن تؤدى فيه، ولذا يشير الإمام إلى موانع الاستماع إلى النصيحة.

والنصيحة والأدب هما من التربية الواجبة على الأهل، ومن حق الطفل على أبيه أن يحسن أدبه وتربيته. وهذا ما ورد في كتاب الله عز وجل حيث قال: ﴿**يا أَيُّها الّذين آمنُوا قُوا أنفُسكُمْ وأَهْليكُمْ ناراً وقُودُها النّاسُ والْحجارةُ**﴾[٢].

فقد ورد في الرواية أنه عليه السلام: لما نزلت الآية، قال الناس: كيف

(١) عيون الحكم والمواعظ، الواسطي: ص٤٨٩.
(٢) سورة التحريم: آية٦.

نقي أنفسنا وأهلنا؟ قال: «**اعملوا الخير وذكّروا به أهليكم وأدّبوهم على طاعة الله**»[١].

موانع الاستماع إلى النصيحة

أ- «يَسْبِقَنِي إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ الْهَوَى وفِتَنِ الدُّنْيَا».

إنها مسابقة بين الدعوة إلى الحق والدعوة إلى الباطل، فالشاب في مقتبل العمر إذا لم تؤد له النصيحة في وقتها وسبقت دعوة الباطل دعوة الحق لتَطْرق مسامع أذنه، وتتحدث مع شغاف قلبه، فإنه سوف يبتعد عن الاستماع إلى النصيحة، وسوف يكون التقصير من الأهل الذين لم يبادروا إلى ذلك.

وقد بيّن الإمام عليه السلام سبب ذلك، وهو أن الشاب في أوائل شبابه يشعر بفراغ يحتاج إلى أن يملأه ويبادر إلى ملئه بما يجده في متناوله، ولذا قال عليه السلام: «**إنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما أُلقي فيها من شيء قَبِلَتْهُ**».

ب- «فَبَادَرْتُكَ بِالأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُوَ قَلْبُكَ».

الخطوة التي تلي النصيحة هي الأدب، والأدب مرحلة أشدُّ من النصيحة، لأنه يتضمن بعض الأساليب التي تحمل نوعا من الفرض والعقوبة مع فرض التخلّف عن ذلك والمعصية، وهذه المرحلة لها أيضا وقتها الذي ينبغي أن يبادر الأهل إلى أدائها في ذلك الوقت وعدم

(١) مستدرك الوسائل، المحقق النوري: ج١٢، ص٢٠١.

تأخيرها بنحو لا يعود من الأدب نفع ولا فائدة.

والمانع من تأثير النصيحة كما يذكر الإمام عليه السلام ذلك في هذه الرواية هو قسوة القلب.

ولقسوة القلب أسباب عديدة ومن هذه الأسباب أن يعيش الإنسان طول الأمل، والشاب في مقتبل العمر مُعرّض لأن يرى من نفسه القوة والقدرة على كل شيء، وأن ينظر إلى الناس من حوله فلا يرى لهم من حق عليه سوى أنه أقدر منهم وأقوى على نيل ما يريد وهذا الأمر يورث قسوة القلب، ففي الرواية، فيما ناجى الله عز وجل به موسى عليه السلام: «**يا موسى، لا تطول في الدنيا أملكَ فيقسُو قلبكَ**»[1].

ج- «**ويَشْتَغِلَ لُبُّكَ**».

المانع الثالث من الاستماع إلى النصيحة هو أن يكون الشاب في حداثة سِنّه ومقتبل عمره حاملا لهمّ ما، كما لو كان يطلب الوصول إلى غاية من الغايات ويسعى للوصول إليها مهما كَلَّفه ذلك، فإن ذلك سوف يكون مانعا من الاستماع إلى النصيحة، فهو ونتيجة حرصه على الوصول إلى غايته سوف يطلب أسرع الطرق والتي قد لا تكون مضمونة، ولو وجهتْ إليه النصائح المتتالية بأنَّ هذا الطريق يضرّ به ولا يفيده فإنه لن يبادر إلى الاستماع إلى النصيحة.

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ج٢، ص٣٢٩.

ثمرة النصيحة:

ذكر عليه السلام جملة من ثمرات يمكن أن تترتب على قبول النصيحة:

١- «**لِتَسْتَقْبِلَ بِجِدِّ رَأْيِكَ مِنَ الأَمْرِ، مَا قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُغْيَتَه وتَجْرِبَتَه**».

إن من أهم فوائد النصيحة هي أن يَتحرّز الإنسان عن الوقوع في الخطأ، فإذا وقف الإنسان أمام خيارات متعددة، وبدل أن يخوض غمار التجارب والتي قد تكون فاشلة وفيها الخسارة، يَعْتَبِر بِمَنْ سبقه من الناس إلى تجربة تلك الطرق، وبهذا يأمن الوقوع في الضرر، وهذه هي فائدة النصيحة.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**التجارب علم مستفاد**»[1].

إذا الثمرة الأولى هي الإحاطة بالأمر واختيار الأفضل.

٢- «**فَتَكُونَ قَدْ كُفِيتَ مَئُونَةَ الطَّلَبِ**».

وهنا يشير الإمام عليه السلام إلى الثمرة الثانية للاستفادة من نصيحة الآخرين، وهو أن أصحاب التجربة إذا أشاروا إليك في أمر من الأمور، فعَمِلتَ بنصيحتهم في فعل أو في ترك، جعلوكَ في راحةٍ من أن تسعى لترى ذلك بنفسك، فَخَفَّفوُا عنك أعباء قد تضطر إلى تحملها لو أردت تجربة ذلك بنفسك، وحفظوا لك وقتك وطاقاتك لتستنفذها في مكانها المثمر ثماراً جديدة.

---

(١) عيون الحكم والمواعظ، الواسطي: ص٤٣.

٣- «**وعُوفِيتَ مِنْ عِلَاجِ التَّجْرِبَةِ**».

الوقاية خير من العلاج كما يقال، وهذه هي الثمرة الثالثة من الأخذ بالنصيحة، إنها الوقاية من الوقوع في الداء الذي يحتاج إلى علاج. والتجربة إذا خاضها الإنسان بنفسه قد توقعه في أمر لا بد له فيه من العلاج، ولكنه لو اعتمد على تجارب الآخرين أمن من الضرر. وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**ثمرة التجربة حسن الاختيار**»[1].

٤- «**فَأَتَاكَ مِنْ ذَلِكَ مَا قَدْ كُنَّا نَأْتِيه**».

الثمرة الرابعة من الرجوع إلى النصيحة أن يصل الإنسان إلى ما يريده بيسر وسهولة، فمن سبقنا إلى الأمر قد تجشم العناء في الوصول إليه، والسعي لنيله، وأما نحن فيصلنا صافيا وفي معافاة من أمرنا.

٥- «**واسْتَبَانَ لَكَ مَا رُبَّمَا أَظْلَمَ عَلَيْنَا مِنْه**».

الثمرة الخامسة هي في أن الصورة لدينا تكون أوضح وأجلى، فإننا متى شاهدنا التجارب التي خاضها الآخرون، ولاحظنا حجم المعاناة التي عانوا منها فأخذنا بالتجارب المتعددة، والصور المختلفة التي يحكيها أصحاب التجارب، ونصائحهم التي ينظر فيها كل واحد منهم إلى جهة من الجهات، اجتمعت لدينا جهات متعددة من النظر والرأي، وهذا يؤدي إلى تكوين صورة أفضل وأجمع وأشمل.

---

(١) عيون الحكم والمواعظ، الواسطي: ص٢٠٩.

الدرس الرابع

حال المؤمن في الدنيا

الدرس الرابع

حال المؤمن في الدنيا

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيَا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفْرٍ، نَبَا بِهِمْ مَنْزِلٌ جَدِيبٌ، فَأَمُّوا مَنْزِلًا خَصِيباً وجَنَاباً مَرِيعاً، فَاحْتَمَلُوا وَعْثَاءَ الطَّرِيقِ وفِرَاقَ الصَّدِيقِ، وخُشُونَةَ السَّفَرِ وجُشُوبَةَ المَطْعَمِ، لِيَأْتُوا سَعَةَ دَارِهِمْ ومَنْزِلَ قَرَارِهِمْ، فَلَيْسَ يَجِدُونَ لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَلَماً، ولَا يَرَوْنَ نَفَقَةً فِيه مَغْرَماً، ولَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِمَّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنْزِلِهِمْ، وأَدْنَاهُمْ مِنْ مَحَلَّتِهِمْ.

ومَثَلُ مَنِ اغْتَرَّ بِهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانُوا بِمَنْزِلٍ خَصِيبٍ، فَنَبَا بِهِمْ إِلَى مَنْزِلٍ جَدِيبٍ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَه إِلَيْهِمْ ولَا أَفْظَعَ عِنْدَهُمْ، مِنْ مُفَارَقَةِ مَا كَانُوا فِيه، إِلَى مَا يَهْجُمُونَ عَلَيْه ويَصِيرُونَ إِلَيْه».

تمهيد:

يصف الإمام عليه السلام في وصيته هذه لولده حال الإنسان المؤمن وحال الإنسان الكافر في هذه الدنيا وكيف يعيش كل منهما.

حال المؤمن:

-«قَوْمٍ سَفْرٍ، نَبَا بِهِمْ مَنْزِلٌ جَدِيبٌ، فَأَمُّوا مَنْزِلًا خَصِيباً وجَنَاباً مَرِيعاً».

المؤمن في هذه الدنيا والذي يكون هَمّه الآخرة، هو كالمسافر الذي أراد السفر من أرض قاحلة جدباء لا نبات فيها ولا ثمر ـ كناية عن الدنيا ـ إلى أرض مثمرة وخصبة ـ كناية عن الآخرة ـ ويعاني المؤمنون في سفرهم هذا الصعاب ولكنهم يملكون القدرة على تَحمّل ذلك لأنهم يريدون الوصول إلى حيث النعم الوافرة.

وتشبيه حال الإنسان في هذه الدنيا بالمسافر، ورد في العديد من الروايات:

فعن الإمام علي عليه السلام: **«فَإِنَّ اللهَّ سُبْحَانَه قَدْ جَعَلَ الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا، وابْتَلَى فِيهَا أَهْلَهَا لِيَعْلَمَ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا، ولَسْنَا لِلدُّنْيَا خُلِقْنَا ولَا بِالسَّعْيِ فِيهَا أُمِرْنَا»**[1].

---

(١) نهج البلاغة، تحقيق صالح: ص٤٤٦.

وعن الإمام علي عليه السلام: «**هؤلاء أنبياء الله وأصفياؤه تَنَزّهوا عن الدنيا... ثم اقتصَّ الصالحون آثارهم... وأنزلوا الدنيا من أنفسهم كالميتة التي لا يحل لأحد أن يشبع منها إلا في حال الضرورة إليها، وأكلوا منها بقدر ما أبقى لهم النفس وأمسك الروح، وجعلوها بمنزلة الجيفة التي اشتد نتنها، فكل من مرَّ بها أمسك على فيه، فهم يتبلغون بأدنى البلاغ...**»[1].

ولذا يصف الإمام عليه السلام حال المؤمن بالتالي:

١ - «فَاحْتَمَلُوا وَعْثَاءَ الطَّرِيقِ».

الدنيا محفوفة بالمخاطر والمصاعب، وهذه المخاطر ليست هي خصوص المخاطر المادية أو الابتلاءات الجسدية، بل من أعظم هذه المخاطر هو الاغترار بهذه الدنيا، فهي تُزّين نفسها للناس، وتدعوهم إليها، وتُرغّبهم بها، وأشدهم مقاومة لها هو الذي ينتصر عليها، وأعظم تشبيه ورد في وصف صعوبة هذه الدنيا، هو وصفها بالسجن، ففي رواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**الدنيا لا تصفو لمؤمن، كيف وهي سجنه وبلاؤه**»[2].

وعن الإمام الكاظم عليه السلام: «**مثل الدنيا مثل ماء البحر، كلما شرب**

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٧٣، ص٩٠.

(٢) كنز العمال، المتقي الهندي: ج٣، ص١٨٧.

منه العطشان ازداد عطشا حتى يقتله»[١].

وعن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «**الجنة محفوفة بالمكاره والصبر، فمن صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنة، وجهنم محفوفة باللذات والشهوات، فمن أعطى نفسه لذتها وشهوتها دخل النار**»[٢].

٢- «وفِرَاقَ الصَّدِيقِ».

ورد في الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام: « **لَا تَسْتَوْحِشُوا فِي طَرِيقِ الْهُدَى لِقِلَّةِ أَهْلِه، فَإِنَّ النَّاسَ قَدِ اجْتَمَعُوا عَلَى مَائِدَةٍ شِبَعُهَا قَصِيرٌ، وجُوعُهَا طَوِيلٌ...**»[٣].

المؤمن في هذه الدنيا غريب، لا يرى صديقا يسير معه في هذا الطريق لأنه طريق معاناة ومشقة، وعدم وجود رفيق لهذا الإنسان في سفره هذا يزيد من مشقته ويجعله يعاني المزيد من الصعاب، ولكنه مع ذلك يصبر في سبيل الوصول إلى الآخرة والمستقر الأبدي.

٣- «وخُشُونَةَ السَّفَرِ».

إذا علم المؤمن أن هذه الدنيا هي دار ممر وأنه في سفر، علم أنه لا قرار له فيها، وتَحمَّل ما فيها من خشونة وصعاب، وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**كن في الدنيا كأنك غريب، أو كأنك عابر سبيل، وعُدَّ نفسك**

(١) تحف العقول، الحراني: ص٣٩٦.
(٢) الكافي، الشيخ الكليني: ج٢، ص٩٠.
(٣) نهج البلاغة، تحقيق صالح: ص٣١٩.

في أصحاب القبور»[١].

وعن الإمام علي عليه السلام قال: «**إن الدنيا دار خبال ووبال، وزوال وانتقال، لا تساوي لذاتها تنغيصها، ولا تفي سعودها بنحوسها، ولا يقوم صعودها بهبوطها**»[٢].

٤- «وجُشُوبَةَ المَطْعَمِ».

الطعام الجشب هو الطعام الغليظ الذي لا تميل إليه النفس ولا ترغب به، والمؤمن وإن كان يستفيد من هذه الدنيا ولا ينسى نصيبه منها، ولكن هذه الأمور ما دامت ليست هدفاً له، فإنها لا تحتل الأولوية أمام أهدافه الحقيقية، وبالتالي فهو يصبر على تركها إذا وقفت عائقاً أمامه لتحصيل رضا الله تعالى.

وكثرة الطعام توقع صاحبها في الابتعاد عن الله عز وجل، وقد ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «**ليس شيء أضر لقلب المؤمن من كثرة الأكل، وهي مورثة لشيئين: قسوة القلب، وهيجان الشهوة**»[٣].

إن الطعام متى كان من الملاذِّ تناول الإنسان منه ما يزيد عن حاجته فابتلي بكثرة الأكل، وأما لو كان الطعام من غير ما تميل إليه

(١) الأمالي، الشيخ الطوسي: ص٣٨١.
(٢) عيون الحكم والمواعظ، الواسطي: ص١٥١.
(٣) مستدرك الوسائل، المحقق النوري: ج١٢، ص٩٤.

النفس وتلتذّ به فإنه سوف يكتفي منه بقدر الحاجة، ومن الروايات المُحذِّرة من كثرة الطعام، ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إياكم والبطنة، فإنها مفسدة للبدن ومورثة للسقم ومكسلة عن العبادة**»[1].

٥- رضا النفس عند المؤمن:

-«**لِيَأْتُوا سَعَةَ دَارِهِمْ ومَنْزِلَ قَرَارِهِمْ، فَلَيْسَ يَجِدُونَ لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَلَمَاً، ولَا يَرَوْنَ نَفَقَةً فِيه مَغْرَماً، ولَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِمَّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنْزِلِهِمْ، وأَدْنَاهُمْ مِنْ مَحَلَّتِهِمْ**».

بعد أن أوضح الإمام عليه السلام حال المؤمن في هذه الحياة الدنيا، أراد بيان حالة الرضا عند المؤمن بما هو عليه، فالمؤمن لا يتحمل كل هذه الصعاب والمشقات وهو مكره عليها، بل يؤديها وهو شاكر لله عز وجل وراضٍ بما يقوم به، لأنه لا يشعر بالألم ولا بالخسارة في فعل كل ما يقربه إلى مقصوده الأساسي، ألا وهو رضا الله عز وجل، والفوز بالجنة، بل إن هذه المصاعب والمشقات أحب إليه من الرخاء والهناء إذا كانت من أسباب القرب إلى نيل مراده، ولذا يصفهم أمير المؤمنين عليه السلام أيضا بقوله: «**صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً، تِجَارَةٌ مُرْبِحَةٌ يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ، أَرَادَتْهُمُ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا، وأَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا**»[2].

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٥٩، ص٢٦٦.

(٢) نهج البلاغة، تحقيق صالح: ص٤٠٣.

حال الكافر المغتّر بهذه الدنيا:

-«**ومَثَلُ مَنِ اغْتَرَّ بِهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانُوا بِمَنْزِلٍ خَصِيبٍ، فَنَبَا بِهِمْ إِلَى مَنْزِلٍ جَدِيبٍ**».

إنها صورة معاكسة لحال المؤمن، فالدنيا هي جنة الكافر، فهو يرى نفسه في سفر ولكنه في سفر من النعيم إلى الجحيم، وهذا ما يفسره لنا كراهة الموت لدى هذا الإنسان، فمن لم يضع نصب عينيه سوى هذه الدنيا فإنه سوف يرى في فنائها فناءه، وفي زواله نهاية كل شيء لديه، وعن لإمام الحسن عليه السلام: «**أعظم سرور يَرِدُ على المؤمنين إذ نُقلوا عن دار النكد إلى نعيم الأبد، وأعظم ثبور يرد على الكافرين إذ نقلوا عن جنتهم إلى نار لا تبيد ولا تنفد**»[1].

إنهم ولشده حبهم لهذه الدنيا يصعب عليهم فراقها، بل هو من أصعب ما يعانون منه، ولذا وصفهم الإمام عليه السلام بقوله: «**فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَه إِلَيْهِمْ ولَا أَفْظَعَ عِنْدَهُمْ، مِنْ مُفَارَقَةِ مَا كَانُوا فِيه، إِلَى مَا يَهْجُمُونَ عَلَيْه ويَصِيرُونَ إِلَيْه**».

وعن الإمام زين العابدين في وصف حال الموت وفراق الدنيا للمؤمن وللكافر يقول عليه السلام: «**للمؤمن كنزع ثياب وسخة قملة، وفك قيود وأغلال ثقيلة، والاستبدال بأفخر الثياب وأطيبها روائح، وأوطئ**

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٦، ص١٥٤.

المراكب، وآنس المنازل، وللكافر كخلع ثياب فاخرة، والنقل عن منازل أنيسة، والاستبدال بأوسخ الثياب وأخشنها، وأوحش المنازل، وأعظم العذاب»[1].

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٦، ص١٥٥.

الدرس الخامس

قواعد التعامل مع الناس

الدرس الخامس

قواعد التعامل مع الناس

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وبَيْنَ غَيْرِكَ، فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، واكْرَه لَه مَا تَكْرَه لَها، ولَا تَظْلِمْ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ، وأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ، واسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُه مِنْ غَيْرِكَ، وارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاه لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ، ولَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ وإِنْ قَلَّ مَا تَعْلَمُ، ولَا تَقُلْ مَا لَا تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ.

واعْلَمْ أَنَّ الإِعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ وآفَةُ الأَلْبَابِ، فَاسْعَ فِي كَدْحِكَ ولَا تَكُنْ خَازِناً لِغَيْرِكَ».

القاعدة العامة في المعاملة:

- **«اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وبَيْنَ غَيْرِكَ»**.

بهذه الكلمات المختصرة والموجزة يبيّن الإمام علي عليه السلام الطريقة الصحيحة في التعامل مع الناس، وهي طريقة العدل والإنصاف، بأن تجعل نفسك معيارا بينك وبين الآخرين.

وقد وردت العديد من الروايات في آداب التعامل مع الناس، وأفرد العلماء في كتب الحديث بابا خاصا تحت عنوان «آداب العشرة» بينوا فيه الطرق العامة لمعاشرة الناس وحسن المعاملة معهم بالنحو الذي يعكس فيه المؤمن التعاليم الصحيحة.

وقد قرن الله عز وجل الأمر بعبادته وتوحيده بالأمر بالإحسان إلى الناس سواء ما ارتبط بالوالدين أو بالأصحاب قال تعالى: **﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً﴾**[1].

(١) سورة النساء: آية٣٦.

تطبيقات القاعدة:

بعد أن ذكر الإمام عليه السلام هذه القاعدة العامة في العشرة، ذكر بعض التطبيقات لهذه القاعدة، والتي من خلال سلوكها يتمكن الإنسان من اتباع تعاليم الإسلام:

أ- «فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ».

لكل إنسان طريقة خاصة في التعامل معه، فكما تحب أن يعاملك الآخرون عليك أن تلجأ إلى التعامل معهم. وهذا لا يختص بالأخ أو بالصديق بل يشمل الناس كافة، فأنت تحب من أخيك وصديقك أن يخلص لك في صداقته بأن يبذل لك كل ما تطلبه منه من مال أو خدمة، فعليك ان تبادله ذلك، بأن تبذل له ما يطلبه منك.

وأنت كذلك تحب من عدوك ومن قامت الخصومة بينك وبينه أن يعاملك بالعدل والإنصاف بأن لا يتجنّى عليك ولا يتهمك بهتانا مهما كانت عداوتك معه، فعليك ان تعامله بذلك، بأن تظهر عدالتك له فيما ظلمك به ولا تتعدى عن ذلك فتتهمه بما لم يفعله أو تتقول عليه بما لم يقله.

وأما سائر الناس فإن غاية ما تحبه منهم هو أن يقابلوك بوجه رحب وطليق، وان يبادروا إلى إلقاء التحية عليك، وإظهار الاحترام لك، فبادرهم بذلك، فرحّب بهم، وبادرهم بالتحية، وتعامل معهم

باحترام.

وهذا ما ورد في الرواية عن الإمام علي عليه السلام: «**ابذل لأخيك دمك ومالك، ولعدوك عدلك وإنصافك، وللعامة بشرك وإحسانك**»[١].

ب- «واكْرَه لَه مَا تَكْرَه لَهَا».

وكما هو الحال في الحب، كذلك الحال في الكره والبغض، فكل ما تكرهه لنفسك عليك ان تكرهه للآخرين، فإذا كنت تكره أن يتحدث عنك الآخرون بالسوء فعليك أن تتجنب الحديث عنهم بالسوء. وإذا كنت تكره أن يأخذ الآخرون حقا من حقوقك فعليك أن تحذر من الأخذ بحقوق الآخرين.

فالقاعدة التي تحكم علاقة الاخوان تتضمن نوعا من المبادلة، ولذا ورد في الرواية عن الإمام الهادي عليه السلام: «**لا تطلب الصفا ممن كَدّرت عليه، ولا النصح ممن صرفت سوء ظنك إليه، فإنما قلب غيرك لك كقلبك له**»[٢].

فغيرك ينظر إليك ويعاملك كما تعامله، فإن كنت تكره منه أمرا فلا تعامله به.

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٧٨، ص٥٠.
(٢) المصدر السابق: ج٧٤، ص١٨٢.

ج- «ولَا تَظْلِمْ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ».

إن أكثر ما يمكن أن يقع فيه الإنسان هو ما يكون فيه ظلم للغير. فليضع الإنسان نفسه مكان المظلوم ليجد كم أن الظلم صعب وعسير. قد ورد التحذير من الظلم لا سيما وأنه يذهب بحسنات المؤمن ففي الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنه ليأتي العبد يوم القيامة وقد سرته حسناته، فيجيء الرجل فيقول: يا رب ظلمني هذا، فيؤخذ من حسناته فيجعل في حسنات الذي سأله، فما يزال كذلك حتى ما يبقى له حسنة، فإذا جاء من يسأله نظر إلى سيئاته فجعلت مع سيئات الرجل، فلا يزال يستوفى منه حتى يدخل النار**»[1].

د- «وأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ».

قال تعالى: ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ**﴾[2].

إذا تذكر الإنسان أن وجوده وما بين يديه من النعم هو من فضل الله وإحسانه إليه، علم أن عليه ان يبادر إلى الإحسان إلى الناس، وهذا ما تدل عليه الآية المباركة.

وعن الإمام علي عليه السلام: «**أحق الناس بالإحسان من أحسن الله**

(١) ميزان الحكمة، محمد الريشهري: ج٢، ص١٧٧١.
(٢) سورة القصص: آية٧٧.

إليه، وبسط بالقدرة يديه»[1].

هـ- «واسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُه مِنْ غَيْرِكَ».

كثيرا ما ينظر الإنسان إلى بعض ما يصدر عن الغير بعين السخط، ويراه قبيحا، ولكن قبل أن يصدر حكمه على ذلك الغير فليرجع إلى نفسه، وليضع نفسه مكان ذلك الشخص، وفي الظروف التي يعيشها ذلك الشخص، ولينظر هل سيقوم بفعل ذلك الذي يراه قبيحا أو لا؟ المشكلة تكمن في إننا ننظر إلى ما يقوم به الآخرون بعين أنفسنا لا بعين غيرنا.

لا تنه عن خلق وتأتي مثـلـه عار عليك إذا فعلت عظيم

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها فإذا انتهت منه فأنت حكيم

و- «وارْض من النّاس بما تَرْضاهُ لَهُمْ منْ نفْسك».

قد يرى الإنسان جفاء في تعامل بعض الناس معه، ولا يرضى منهم ذلك، فلينظر إلى نفسه، هل يعاملهم هو أيضا بجفاء، أو أنه يبادر إلى الإحسان إليهم.

ز- «ولَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ وإِنْ قَلَّ مَا تَعْلَمُ».

﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ

---

(١) عيون الحكم والمواعظ، الواسطي: ص١٢٧.

أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾[١].

إن أخطر ما يمكن أن يقع فيه الإنسان هو أن يدّعي العلم فيقول ما لا يعرف، ويتحدث بما لا يعلم.

بل ورد التحذير في الروايات عن قول كل ما يعلم فكيف بقول ما لا يعلم؟

ففي الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «**لَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ بَلْ لَا تَقُلْ كُلَّ مَا تَعْلَمُ، فَإِنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَى جَوَارِحِكَ كُلِّهَا، فَرَائِضَ يَحْتَجُّ بِهَا عَلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[٢].

وإنما أوصى الإمام بهذه الوصية لأن الإنسان إذا قال ما لا يعلم فإنه سوف يوقع غيره فيما يكره ولا يحب، وذلك لأن غيره قد يعتمد على قوله عندما يُقدم على أمر من الأمور، فإذا أخبره بما لا يعلم أوقعه في الضرر.

---

(١) سورة الإسراء: آية٣٦.

(٢) نهج البلاغة، تحقيق صالح: ص٥٤٤.

الدرس السادس

الله رؤوف بالعباد

الدرس السادس

الله رؤوف بالعباد

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ، وتَكَفَّلَ لَكَ بِالإِجَابَةِ وأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَه لِيُعْطِيَكَ، وتَسْتَرْحِمَه لِيَرْحَمَكَ، ولَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وبَيْنَه مَنْ يَحْجُبُكَ عَنْه، ولَمْ يُلْجِئْكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْه، ولَمْ يَمْنَعْكَ إِنْ أَسَأْتَ مِنَ التَّوْبَةِ، ولَمْ يُعَاجِلْكَ بِالنِّقْمَةِ، ولَمْ يُعَيِّرْكَ بِالإِنَابَةِ ولَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ الْفَضِيحَةُ بِكَ أَوْلَى، ولَمْ يُشَدِّدْ عَلَيْكَ فِي قَبُولِ الإِنَابَةِ، ولَمْ يُنَاقِشْكَ بِالْجَرِيمَةِ».

تمهيد:

من الأسماء الإلهية الحسنى التي تكرر وصف الله عز وجل بها هي صفة الرأفة والرحمة، كيف وقد قرن الله عز وجل اسمه بصفة الرحمن الرحيم في البسملة، وفي ابتداء كل سورة من سور القرآن الكريم.

ومظاهر الرحمة الإلهية ترافق هذا الإنسان منذ خلقته وإلى يوم القيامة، وهذه هي الرحمة التكوينية، والتي ترتبط بالنحو الذي خلقه الله عز وجل عليه، وبما وهبه من النعم المادية التي يتمكن من خلالها من الاستمرار في هذه الحياة والسير في الأرض.

ولكن الرحمة الإلهية لا تقتصر على ذلك، بل فتح باب الرحمة الخاصة، والتي ترتبط بالآخرة وما يقع فيه هذا الإنسان من تجاوز أو معصية للأوامر الإلهية. وهنا يذكر الإمام علي عليه السلام في وصيته لولده الحسن عليه السلام بعض مظاهر هذه الرحمة الخاصة.

- «**قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ، وتَكَفَّلَ لَكَ بِالإِجَابَةِ**».

أبواب الله عز وجل مفتوحة للسائلين، يطلبون منه حوائج الدنيا والآخرة، وأما الإجابة فهي مضمونة لهم من الله عز وجل، وهذا ما ورد به القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿**وقال ربُّكُمْ ادْعُوني أَسْتجبْ لكُمْ**﴾[1].

وعن النبي صلى الله عليه وآله: « **يدخل الجنة رجلان كانا يعملان عملا واحدا،**

---

(١) سورة غافر: آية ٦٠.

فيرى أحدهما صاحبه فوقه، فيقول: يا رب، بما أعطيته وكان عملنا واحدا؟ فيقول الله تعالى: سألني ولم تسألني»[١].

- «**أَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَه لِيُعْطِيَكَ**».

الإمام الصادق عليه السلام: «**ادع ولا تقل: إن الأمر قد فرغ منه، إن عند الله عز وجل منزلة لا تنال إلا بمسألة**»[٢].

إذا الكثير من النعم الإلهية، أو البلاءات لا ترتفع إلا من خلال الدعاء.

وعن الإمام علي عليه السلام: «**اعلم أن الذي بيده خزائن ملكوت الدنيا والآخرة قد أذن لدعائك، وتكفل لإجابتك، وأمرك أن تسأله ليعطيك، وهو رحيم كريم، لم يجعل بينك وبينه من يحجبك عنه، ولم يلجئك إلى من يشفع لك إليه... ثم جعل في يدك مفاتيح خزائنه بما أذن فيه من مسألته، فمتى شئت استفتحت بالدعاء أبواب خزائنه**»[٣].

- «**وتَسْتَرْحِمَه لِيَرْحَمَكَ**».

الإنسان معرّض في هذه الحياة للإصابة بأنواع الابتلاءات، ومن هذه الابتلاءات ما لا يمكن للإنسان أن يدفعه عن نفسه من خلال التمسك بوسائل دنيوية ومادية، ولا يجد من سبيل للخلاص منه إلا

---

(١) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج٧، ص٢٤.
(٢) الكافي، الشيخ الكليني: ج٢، ص٤٦٦.
(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٧٤، ص٢٠٤.

من خلال الرجوع إلى الله عز وجل.

ورد في الرواية عن الإمام الكاظم عليه السلام: «**عليكم بالدعاء، فإن الدعاء لله، والطلب إلى الله يرد البلاء وقد قُدِّر وقُضِي ولم يبق إلا إمضاؤه، فإذا دُعِي الله عز وجل وسُئِل صرف البلاء صرفه**»(١).

الإمام الصادق عليه السلام لأصحابه: «**هل تعرفون طول البلاء من قصره؟ قلنا: لا، قال: إذا ألهِمَ أحدُكم الدعاء عند البلاء فاعلموا أن البلاء قصير**»(٢).

وهذا الأمر لا يختص بالبلاء إذا نزل بل هو يشمل البلاء الذي لم ينزل على العبد بعد، ولذا ورد في الرواية: عن الإمام علي عليه السلام: «**ادفعوا أمواج البلاء بالدعاء، ما المبتلى الذي استدر به البلاء بأحوج إلى الدعاء من المعافى الذي لا يأمن البلاء**»(٣).

- «**ولَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وبَيْنَه مَنْ يَحْجُبُكَ عَنْه**».

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾(٤).

إن شرط إجابة الدعاء هو التوجه الخالص لله عز وجل، وهذا

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ج٢، ص٤٦٩.
(٢) المصدر السابق: ج٢، ص٤٧١.
(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٩٠، ص٣٠١.
(٤) سورة البقرة: آية١٨٦.

الأمر لا يتم إلا من خلال اليأس عن أي سبب لقضاء الحاجة من الأسباب الدنيوية، وقد ورد في الرواية عن الإمام الصادقعليه السلام: «**إذا أراد أحدكم أن لا يسأل ربه شيئا إلا أعطاه فلييأس من الناس كلهم، ولا يكون له رجاء إلا عند الله، فإذا علم الله عز وجل ذلك من قلبه لم يسأل الله شيئا إلا أعطاه**»(١).

- «**وَلَمْ يُلْجِئْكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْه**».

وقد ورد في كلام للإمامعليه السلام في نهج البلاغة قوله: «**فاستفتحوه واستنجحوه، واطلبوا إليه واستمنحوه، فما قطعكم عنه حجاب، ولا أغلق عنكم دونه باب. وإنه لبكل مكان، وفى كل حين وأوان، ومع كل إنس وجان، لا يثلمه العطاء، ولا ينقصه الحباء، ولا يستنفده سائل، ولا يستقصيه نائل**».

فالشفاعة والواسطة إنما يحتاج إليها الإنسان إذا كان لا طريق له للإتصال المباشر بمن يريد ان يرفع حاجته إليه، وأما بالنسبة إلى علاقة الإنسان بربّه فإنها علاقة مفتوحة ومباشرة، فلا باب ولا حاجب بين الإنسان وربه.

- «**وَلَمْ يَمْنَعْكَ إِنْ أَسَأْتَ مِنَ التَّوْبَةِ**».

التوبة باب فتحه الله عز وجل لعباده، ومظهر من مظاهر رحمة الله ورأفته، فلا يعني إذا زلت قدم العبد ان ييأس من الرجوع إلى الله

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ج٢، ص١٤٨.

عز وجل بل ورد في الروايات الحث الشديد على التوبة فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «**إن الله تعالى أشد فرحا بتوبة عبده من رجل أضل راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها، فالله أشد فرحا بتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته حين وجدها**»(١).

- «**ولَمْ يُعَاجِلْكَ بِالنِّقْمَةِ**».

من مظاهر الرحمة الإلهية إمهال الله عز وجل خلقه وعدم التعجيل بعقابهم، وكما ورد في الآية الكريمة: ﴿**وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيراً**﴾(٢).

وفي الحديث: «**إن الله يمهل ولا يهمل**»(٣).

ولم يمهل الله عز وجل عباده لعجز والعياذ بالله بل هو الجبار المنتقم، ولكن رحمة منه بهم ليفتح لهم باب الرجوع إليه.

- «**ولَمْ يُعَيِّرْكَ بِالإِنَابَةِ**».

ورد في العديد من الروايات الحث على التوبة، وقد عبّرت الروايات عن التائبين بعبارات المدح والثناء لا التعيير او الوقيعة فيهم، ففي رواية عن لإمام علي عليه السلام في وصف التائبين: «**غرسوا أشجار**

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ج٢، ص٤٣٥.
(٢) سورة فاطر: آية٤٥.
(٣) تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، الديار بكري: ج١، ص٣٣.

ذنوبهم نصب عيونهم وقلوبهم وسقوها بمياه الندم، فأثمرت لهم السلامة، وأعقبتهم الرضا والكرامة».

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**»[1].

- «**وَلَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ الْفَضِيحَةُ بِكَ أَوْلَى**».

الإنسان المذنب الذي يتجاوز عما فرضه الله حق على الله عز وجل ان يفضحه ويستحق ذلك، ولكن الله عز وجل يستر عليه ذلك، وفي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام وقد سمعه معاوية بن وهب يقول: «**إذا تاب العبد المؤمن توبة نصوحا أحبه الله فستر عليه في الدنيا والآخرة. قلت: وكيف يستر عليه؟ قال: ينسي ملكيه ما كتبا عليه من الذنوب... فيلقى الله حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب**»[2].

وعن الإمام علي عليه السلام: «**من تاب تاب الله عليه، وأُمرت جوارحه أن تستر عليه، وبقاع الأرض أن تكتم عليه، وأُنسيت الحفظة ما كانت تكتب عليه**».

- «**وَلَمْ يُشَدِّدْ عَلَيْكَ فِي قَبُولِ الإِنَابَةِ**».

ورد في الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام: «**لا والله ما أراد الله تعالى من الناس إلا خصلتين: أن يُقرِّوا له بالنعم فيزيدهم، وبالذنوب فيغفرها**

(١) كنز العمال، المتقي الهندي: ج٤، ص٢١٥.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٦، ص٢٨.

لهم»[١].

بهذا تنال المغفرة، ولكن شرط ان لا يعود إلى ارتكاب الذنب.

- **«ولَمْ يُنَاقِشْكَ بِالْجَرِيمَةِ»**.

إن من أصعب مواقف الذل التي قد يقع فيها الإنسان، هو أن يقف في موقف ذلّ الحساب، ولعله يكون أصعب من العقاب، وهذا ما يمكن للإنسان التخلص منه من خلال التوبة، فإذا عفا الإنسان عن المسيء له فإنه لن يمانع من توجيه اللوم له او العتاب، ولكن الله عز وجل إذا عفى عن الذنب عفا عن اللوم والعتاب أيضاً. وقد ورد في دعاء الإمام زين العابدين طلب الرحمة في هذا الموقف: **«إرْحَمْ فِي هذِهِ الدُّنْيا غُرْبَتِي، وَعِنْدَ المَوْتِ كُرْبَتِي، وَفِي القَبْرِ وَحْدَتِي، وَفِي اللَّحْدِ وَحْشَتِي، وَإِذا نُشِرْتُ لِلْحِسابِ بَيْنَ يَدَيْكَ ذُلَّ مَوْقِفِي»**[٢].

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ج٢، ص٤٢٦.
(٢) المصباح، الشيخ الكفعمي: ص٥٩٧.

الدرس السابع

ذكر الموت

الدرس السابع

ذكر الموت

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «يَا بُنَيَّ أَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ وذِكْرِ مَا تَهْجُمُ عَلَيْه، وتُفْضِي بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَيْه، حَتَّى يَأْتِيَكَ وقَدْ أَخَذْتَ مِنْه حِذْرَكَ، وشَدَدْتَ لَه أَزْرَكَ، ولَا يَأْتِيَكَ بَغْتَةً فَيَبْهَرَكَ.

وإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِمَا تَرَى مِنْ إِخْلَادِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا، وتَكَالُبِهِمْ عَلَيْهَا فَقَدْ نَبَّأَكَ اللهُ عَنْهَا، ونَعَتْ هِيَ لَكَ عَنْ نَفْسِهَا وتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ مَسَاوِيهَا».

أثر ذكر الموت:

الموت هذه الحقيقة التي إليها يكون مصير كل إنسان، وهو في الحقيقة انتقال من دار البلاء والامتحان إلى دار الأجر والجزاء، فمن أحسن عملاً أحب وقت الجزاء، ومن أساء العمل خاف من ذلك اليوم، وقد ورد في الرواية عن لإمام الباقر عليه السلام: «**لا يبلغ أحدكم حقيقة الإيمان حتى يكون فيه ثلاث خصال: حتى يكون الموت أحب إليه من الحياة، والفقر أحب إليه من الغنى ، والمرض أحب إليه من الصحة**»[1].

ولا شك أن لذكر الموت أثراً على روحية الإنسان ومسلكيته في هذه الدنيا، والناس بالنسبة لذكر الموت قسمان:

القسم الأول: هم الأشخاص الغافلون عن الآخرة، والذين تُشكّل أيامهم المعدودة في هذه الحياة الدنيا كل همّهم، وتتلخص أهدافهم بمتطلبات هذه الأيام المعدودة، وهذا النوع من الناس يُشكّل الموت بالنسبة إليهم نهاية كل شيء، نهاية الأمل ونهاية الهدف ونهاية الوجود، وبالتالي فمن المنطقي أن يكون ذكر الموت بالنسبة لهم يبعث على اليأس والإحباط، لذلك تجدهم كثيراً ما يتجنبون ذكر الموت وينزعجون من التلفظ باسمه.

والقسم الثاني: هم الذين عرفوا الله تعالى وعرفوا أن هناك

---

(١) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق: ص١٨٩.

يوم حساب ويوم جزاء، وبالتالي فالدنيا بالنسبة لهم ليست إلا قنطرة وجسراً يعبرونها للوصول إلى تلك الحياة الحقيقية والأساسية فهدفهم الحقيقي لا يتوقف عند هذه الأيام والأنفاس المعدودة، وطموحاتهم لا تنحصر بمتطلبات هذه الأيام المحدودة، فهم وإن لم ينسوا نصيبهم من الدنيا إلا أن هدفهم الأساسي هو الآخرة، يبنون لها ويمهدون لأنفسهم للوصول إلى تلك المرحلة على أفضل حال، وهذا النوع من الناس سيكون ذكر الموت بالنسبة لهم له فوائد متعددة، فهو:

أ- باعث على الجد والنشاط للاستفادة من فرصة هذه الدنيا على أكمل وجه للتأسيس للآخرة، فلحظات هذه الفرصة محدودة.

ب- يرسّخ الهدف الحقيقي - المتمثل بالآخرة - أكثر في النفوس، ويجعل هذا الهدف حاضراً بشكل أكبر وآكد، وبالتالي يصوّب مسيرة الإنسان بالاتجاه الصحيح.

ج- يساعد الإنسان للسيطرة على ميوله النفسية وشهواته، فيهذّبها ويجعلها ضمن الإطار الإيجابي والصحيح.

وقد ورد في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أكثروا ذكر الموت، فإنه يُمحّص الذنوب ويُزهّد في الدنيا، فإن ذكرتموه عند الغنى هدمه، وإن ذكرتموه عند الفقر أرضاكم بعيشكم**»[1].

---

(١) كنز العمال، المتقي الهندي: ج١٥، ص٥٤٣.

الحذر من الموت:

-«حَتَّى يَأْتِيَكَ وقَدْ أَخَذْتَ مِنْه حِذْرَكَ».

إن مشكلة الإنسان في هذه الدنيا تتمثل في الحجب التي تتوالى على قلبه فتمنعه من ذكر الله عز وجل، وتكون هذه الحجب سبباً في ابتعاده عن الله، وذكر الموت هو أحد الأسباب التي تُشكّل عاملاً مساعداً على إزالة هذه الحجب، ففي رواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد إذا أصابه الماء قيل: وما جلاؤها؟ قال: كثرة ذكر الموت، وتلاوة القرآن**»[1].

وأما كيف يؤدي ذكر الموت دوره في رفع هذه الحجب؟ فهو من جهة شعور الإنسان بأن مصير كل ما يعيشه الإنسان في هذه الدنيا إلى الزوال لا البقاء، وقد ورد في الرواية عن الإمام علي عليه السلام: «**إِنَّ الْمَوْتَ هَادِمُ لَذَّاتِكُمْ، ومُكَدِّرُ شَهَوَاتِكُمْ ومُبَاعِدُ طِيَّاتِكُمْ، زَائِرٌ غَيْرُ مَحْبُوبٍ وقِرْنٌ غَيْرُ مَغْلُوبٍ، ووَاتِرٌ غَيْرُ مَطْلُوبٍ، قَدْ أَعْلَقَتْكُمْ حَبَائِلُه... فَيُوشِكُ أَنْ تَغْشَاكُمْ دَوَاجِي ظُلَلِه، واحْتِدَامُ عِلَلِه...**»[2].

وهذا الموت الذي يتيقن كل إنسان في هذه الدنيا أنه سوف يأتيه في يوم من الأيام، تجد الإنسان يتعامل مع معاملة الشيء المشكوك

---

(١) كنز العمال، المتقي الهندي: ج١٥، ص٥٤٩.

(٢) نهج البلاغة، تحقيق صالح: ص١٥٣.

وهذا ما نبّه عليه الإمام علي عليه السلام في رواية قال: «**ما رأيت إيمانا مع يقين أشبه منه بشك على هذا الإنسان، إنه كل يوم يُودّع إلى القبور، ويُشيّع، وإلى غرور الدنيا يرجع، وعن الشهوة والذنوب لا يقلع، فلو لم يكن لابن آدم المسكين ذنب يتوكفه ولا حساب يقف عليه إلا موت يُبدّد شمله ويُفرّق جمعه ويُوتم ولده، لكان ينبغي له أن يحاذر ما هو فيه بأشد النصب والتعب**»(١).

وهل لإنسان أن يطمع بالخلود في هذه الدنيا، قد تجد من الناس من يحب ذلك ويرغب به ولكن الناس كافة تؤمن يقينا بأنه لا سبيل إلى ذلك وفي الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**فَلَوْ أَنَّ أَحَداً يَجِدُ إِلَى الْبَقَاءِ سُلَّماً أَوْ لِدَفْعِ الْمَوْتِ سَبِيلًا، لَكَانَ ذَلِكَ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ عليه السلام الَّذِي سُخِّرَ لَه مُلْكُ الْجِنِّ والإِنْسِ، مَعَ النُّبُوَّةِ وعَظِيمِ الزُّلْفَةِ، فَلَمَّا اسْتَوْفَى طُعْمَتَه واسْتَكْمَلَ مُدَّتَه، رَمَتْه قِسِيُّ الْفَنَاءِ بِنِبَالِ الْمَوْتِ، وأَصْبَحَتِ الدِّيَارُ مِنْه خَالِيَةً، والْمَسَاكِنُ مُعَطَّلَةً ووَرِثَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ**»(٢).

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٦، ص١٣٧.
(٢) نهج البلاغة، تحقيق صالح: ص٢٦٢.

الاستعداد لتلك الرحلة:

-«**وشَدَدْتَ لَه أَزْرَكَ**».

إن كل من يُقدم على سفر من الأسفار يَتجهّز لهذا السفر بما يحتاج إليه، ومنها أن يكون له من القدرة والقوة ما يمكنه من طَيّ هذا السفر بنحو يصل إلى مقصوده، وهكذا حال الإنسان في هذه الدنيا، فإنه لا بد له وأن يتجهز في هذه الدنيا بما يعينه على الآخرة.

وقد ورد عن الإمام علي عليه السلام: «**فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللهَّ الْمَوْتَ وقُرْبَه، وأَعِدُّوا لَه عُدَّتَه، فَإِنَّه يَأْتِي بِأَمْرٍ عَظِيمٍ وخَطْبٍ جَلِيلٍ، بِخَيْرٍ لَا يَكُونُ مَعَه شَرٌّ أَبَداً، أَوْ شَرٍّ لَا يَكُونُ مَعَه خَيْرٌ أَبَداً، فَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى الْجَنَّةِ مِنْ عَامِلِهَا، ومَنْ أَقْرَبُ إِلَى النَّارِ مِنْ عَامِلِهَا**»[1].

-«**ولَا يَأْتِيَكَ بَغْتَةً فَيَبْهَرَكَ**».

ورد في الروايات ذكر صورة الموت للمؤمن وصورة الموت للكافر، وإنما تحصل البغتة للكافر، قال تعالى: ﴿**قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهَّ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ**﴾[2].

---

(١) نهج البلاغة، تحقيق صالح: ص٤٨٣.

(٢) سورة الأنعام: آية٣١.

صورة موت المؤمن:

تتلخص صورة موت المؤمن بما يلي:

أ- ملك الموت: عن النبي صلى الله عليه وآله: «**إن ملك الموت ليقف من المؤمن عند موته موقف العبد الذليل من المولى، فيقوم وأصحابه لا يدنون منه حتى يبدأه بالتسليم ويبشره بالجنة**»(١).

ب- خروج الروح: رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إن أشد شيعتنا لنا حبا يكون خروج نفسه كشرب أحدكم في يوم الصيف الماء البارد الذي ينتفع به القلوب،وإن سائرهم ليموت كما يغبط أحدكم على فراشه كأقر ما كانت عينه بموته**»(٢).

ج- البشارة: فقد روي عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أن أول ما يُبشَّر به المؤمن روح وريحان وجنة نعيم، وأول ما يُبشَّر به المؤمن أن يقال له: أَبْشِر ولي الله برضاه والجنة ! قدمت خير مقدم، قد غفر الله لمن شَيَّعكَ، واستجاب لمن استغفر لك، وقبل من شهد لك(٣).

---

(١) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ج١، ص١٣٥.
(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٦، ص١٦٢.
(٣) كنز العمال، المتقي الهندي: ج١٥، ص٥٩٦.

صورة موت أهل النار:

تتلخص صورة موته بما يلي:

أ- ملك الموت: قال تعالى: **﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾**[1]. والمراد من الآية أن نزع الملائكة لروح الكافر يترافق مع ضربه من أمام ومن خلف. عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**إذا أراد الله قبض روح الكافر قال: يا ملك الموت انطلق أنت و أعوانك إلى عدوي، فإني قد ابتليته فأحسنت البلاء، ودعوته إلى دار السلام فأبى إلا أن يشتمني، وكفر بي وبنعمتي، وشتمني على عرشي فاقبض روحه حتى تكبه في النار، قال: فيجيئه ملك الموت بوجه كريه كالح، عيناه كالبرق الخاطف، صوته كالرعد القاصف، لونه كقطع الليل المظلم، نفسه كلهب النار رأسه في السماء الدنيا ورجل في المشرق و رجل في المغرب، وقدماه في الهواء معه سفود كثير الشعب، معه خمسمائة ملك معهم سياط من قلب جهنم، تلتهب تلك السياط وهي من لهب جهنم، ومعهم مسح أسود وجمرة من جمر جهنم، ثم يدخل عليه ملك من خزان جهنم يقال له: سحقطائيل فيسقيه شربة من النار، لا يزال منها عطشاناً حتى يدخل النار، فإذا نظر إلى ملك الموت شخص بصره وطار عقله، قال: يا ملك**

(١) سورة الأنفال: آية ٥٠.

الموت ارجعون، قال: فيقول ملك الموت: «كلا إنها كلمة هو قائلها»[١].

ب- خروج الروح: وقد ورد في الرواية وصف ذلك عن أبي جعفر الصادق عليه السلام قال: «**فيجيئه (الكافر) ملك الموت بوجه كريه كالح، عيناه كالبرق الخاطف، صوته كالرعد القاصف، لونه كقطع الليل المظلم، نفسه كلهب النار رأسه في السماء الدنيا ورجل في المشرق و رجل في المغرب، وقدماه في الهواء**»[٢].

ج- المصير السيء: يقول تعالى: ﴿**وَلَوْ تَرَى إِذْ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ**﴾[٣].

---

(١) الاختصاص، الشيخ المفيد: ص٣٥٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) سورة الأنعام: آية٩٣.

الدرس الثامن
المؤمن عزيز

الدرس الثامن

المؤمن عزيز

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وأَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ، وإِنْ سَاقَتْكَ إِلَى الرَّغَائِبِ، فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ بِمَا تَبْذُلُ مِنْ نَفْسِكَ عِوَضاً. ولَا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وقَدْ جَعَلَكَ اللهُ حُرّاً. ومَا خَيْرُ خَيْرٍ لَا يُنَالُ إِلَّا بِشَرٍّ، ويُسْرٍ لَا يُنَالُ إِلَّا بِعُسْرٍ؟! وإِيَّاكَ أَنْ تُوجِفَ بِكَ مَطَايَا الطَّمَعِ، فَتُورِدَكَ مَنَاهِلَ الْهُلَكَةِ، وإِنِ اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَكُونَ بَيْنَكَ وبَيْنَ اللهِ ذُو نِعْمَةٍ فَافْعَلْ، فَإِنَّكَ مُدْرِكٌ قَسْمَكَ وآخِذٌ سَهْمَكَ، وإِنَّ الْيَسِيرَ مِنَ اللهِ سُبْحَانَه أَعْظَمُ وأَكْرَمُ مِنَ الْكَثِيرِ مِنْ خَلْقِه، وإِنْ كَانَ كُلٌّ مِنْه. وتَلَافِيكَ مَا فَرَطَ مِنْ صَمْتِكَ، أَيْسَرُ مِنْ إِدْرَاكِكَ مَا فَاتَ مِنْ مَنْطِقِكَ، وحِفْظُ مَا فِي الْوِعَاءِ بِشَدِّ الْوِكَاءِ، وحِفْظُ مَا فِي يَدَيْكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ طَلَبِ مَا فِي يَدَيْ غَيْرِكَ. ومَرَارَةُ الْيَأْسِ خَيْرٌ مِنَ الطَّلَبِ إِلَى النَّاسِ، والْحِرْفَةُ مَعَ الْعِفَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى مَعَ الْفُجُورِ».

المؤمن لا يُذل:

-«وأَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ، وإِنْ سَاقَتْكَ إِلَى الرَّغَائِبِ، فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ بِمَا تَبْذُلُ مِنْ نَفْسِكَ عِوَضاً».

ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «**المؤمن أعظم حرمة من الكعبة**»(٤).

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «**إن الله عز وجل أعطى المؤمن ثلاث خصال: العز في الدنيا والدين، والفلاح في الآخرة، والمهابة في صدور العالمين**»(٥).

الله عز وجل أعطى لهذا المؤمن العزة، ولكن الإنسان قد تدعوه رغبة من رغباته إلى فعل ما لا يليق به تلبية لرغبته تلك، فيقع في إذلال نفسه ويُضحّي بما وهبه إياه الله عز وجل، وهنا يُرشدنا الإمام عليه السلام إلى أن ما نناله جراء التضحية بهذه العزة والكرامة الموهوبة من الله عز وجل لا يعادل ما نأخذه من حطام، فإن من يقدم على ذلك لمغبون، لأنه يبذل الشيء الغالي والنفيس في سبيل الفاني والرخيص.

بل ورد في الرواية أن المؤمن لا ولاية له على أن يُذل نفسه، فقد ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إن الله فوض إلى المؤمن**

---

(٤) الخصال، الشيخ الصدوق: ص٢٧.

(٥) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٦٧، ص٧١.

أموره كلها، ولم يفوض إليه أن يكون ذليلا، أما تسمع الله تعالى يقول: ﴿...ولله الْعزّةُ ولرسُوله وللْمُؤْمنين ولكنّ الْمُنافقين لا يعْلمُون﴾[١]»[٢].

فالمؤمن يكون عزيزاً ولا يكون ذليلاً، إن المؤمن أعز من الجبل، لأن الجبلَ يُستقل منه بالمعاول، والمؤمن لا يُستقل من دينه بشيء.

وعنه عليه السلام: «**المؤمن إذا سُئل أسعف، وإذا سَأل خَفَّف**»[٣].

المؤمن حر:

-«**ولَا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وقَدْ جَعَلَكَ اللهَّ حُرّاً**».

هذه العبارة من الإمام عليه السلام أصبحت من الأمثال التي سار بها الناس، فالمؤمن هو عبد لله عز وجل فقط ولا يمكنه أن يكون عبداً لغيره لأن في ذلك ذلّه، وقد وردت الروايات بالنهي عن أن يؤجر الإنسان المؤمن نفسه عن عمل من الأعمال ولو كان ذلك لأجل الرزق ففي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «**من آجر نفسه فقد حظر على نفسه الرزق**»[٤]. وفي رواية أخرى: «**وكيف لا يحظره؟! وما أصاب فيه فهو لربه الذي آجره**»[٥].

---

(١) سورة المنافقون: آية٨.
(٢) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي: ج٦، ص١٧٩.
(٣) عيون الحكم والمواعظ، الواسطي: ص٢٢.
(٤) الكافي، الشيخ الكليني: ج٥، ص٩٠.
(٥) المصدر السابق.

الغاية والوسيلة:

-«ومَا خَيْرُ خَيْرٍ لَا يُنَالُ إِلَّا بِشَرٍّ، ويُسْرٍ لَا يُنَالُ إِلَّا بِعُسْرٍ؟!».

هل الغاية تبرر الوسيلة؟ الجواب الذي تتضمنه هذه الوصية هو النفي، فالإمام عليه السلام يؤكد على أن الخير الذي يصل إليه الإنسان عن طريق الشر، لا يكون خيراً، بل هو من الشر، فالمال الذي يحصل عليه الإنسان ولو كان لفعل الخير إذا كان من خلال إذلال المؤمن لنفسه فإنه سوف يكون موجباً لكون ذلك الخير من الشر.

موجبات العزة:

أ- طاعة الله:

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**من أخرجه الله من ذل المعاصية إلى عز التقوى، أغناه بلا مال، وأعزه بلا عشيرة، وآنسه بلا بشر**»[1].

ومن الطاعة التسليم لله عز وجل فيما أمر ونهى، وقد نهي المؤمن عن إذلال نفسه، وإذلال النفس إمّا أن يكون لأجل الحاجة إلى المال، أو إلى العشيرة أو إلى الصداقة والرفقة، فلو أطاع الله لسلك في هذه الثلاثة سبل الطاعة فكان عزيزاً فيها.

وهذا ما يمكن أن يستفاد من الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إذا**

(١) الأمالي، الشيخ الطوسي: ص٢٠٢.

طلبت العز فاطلبه بالطاعة»[١].

ب- اليأس عما في أيدي الناس:

إنما يذل الإنسان نفسه لغيره من الناس متى عاش على أمل أن يجد ما يطلبه عندهم وأما لو قطع الأمل من ذلك في نفسه، وعَلَّق أمله بالله عز وجل فقط فإنه لن يلجأ إلى إذلال نفسه، ولذا ورد في الرواية عن لقمان عليه السلام -لابنه وهو يعظه-: «**إن أردت أن تجمع عز الدنيا فاقطع طمعك مما في أيدي الناس، فإنما بلغ الأنبياء والصديقون ما بلغوا بقطع طمعهم**»[٢].

ج- نصرة الحق:

إن العزة هي في نصرة الحق، وأما لو تخلى الإنسان عن نصرة الحق فإنه سوف يكون مصيره إلى الذل، وقد ورد في الرواية عن الإمام العسكري عليه السلام: «**ما ترك الحق عزيزٌ إلا ذلَّ، ولا أخذ به ذليلٌ إلا عزَّ**»[٣].

وعن الإمام علي عليه السلام: «**فَرَضَ اللهُ... والْجِهَادَ عِزّاً لِلإِسْلَامِ**»[٤].

---

(١) عيون الحكم والمواعظ، الواسطي: ص١٣٤.
(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج١٣، ص٤٢٠.
(٣) المصدر السابق: ج٧٨، ص٣٧٤.
(٤) نهج البلاغة، تحقيق صالح: ص٥١٢.

د- إكرام الناس:

إن من موجبات كرامة النفس عند النفس ان يتعامل الإنسان بإكرام مع سائر الناس، فقد ورد في الرواية عن الإمام علي عليه السلام: «**إن مكرمة صنعتها إلى أحد من الناس إنما أكرمتَ بها نفسك وزَيَّنت بها عرضك، فلا تطلب من غيرك شكر ما صنعتَ إلى نفسكَ**»[1].

(١) عيون الحكم والمواعظ، الواسطي: ص١٥٤.

الدرس التاسع

العلاقة مع الإخوان «١»

الدرس التاسع

العلاقة مع الإخوان «١»

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «احْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ عِنْدَ صَرْمِه عَلَى الصِّلَةِ، وعِنْدَ صُدُودِه عَلَى اللُّطَفِ والمُقَارَبَةِ، وعِنْدَ جُمُودِه عَلَى الْبَذْلِ، وعِنْدَ تَبَاعُدِه عَلَى الدُّنُوِّ، وعِنْدَ شِدَّتِه عَلَى اللِّينِ، وعِنْدَ جُرْمِه عَلَى الْعُذْرِ، حَتَّى كَأَنَّكَ لَه عَبْدٌ وكَأَنَّه ذُو نِعْمَةٍ عَلَيْكَ.

وإِيَّاكَ أَنْ تَضَعَ ذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِه، أَوْ أَنْ تَفْعَلَه بِغَيْرِ أَهْلِه، لَا تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِيقِكَ صَدِيقاً فَتُعَادِيَ صَدِيقَكَ، وامْحَضْ أَخَاكَ النَّصِيحَةَ، حَسَنَةً كَانَتْ أَوْ قَبِيحَةً».

تمهيد:

كما حث الإسلام الناس على اكتساب الإخوان حتى جعل ذلك من علامات القدرة والقوة، فقد ورد في رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**أعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان، وأعجز منه من ضَيَّع من ظفر به منهم**»(١).

كذلك وردت الرواية وتعاليم أئمة أهل البيت عليهم السلام بتحديد قواعد العلاقة التي ينبغي أن تكون بين الإخوان، والتي تحفظ هذه المودة التي تكون بينهم، وهذه القواعد هي التي يوصي بها الإمام أمير المؤمنين ولده الحسن عليهما السلام.

وقد ورد في التشريع الأخلاقي الإسلامي بيان مجموعة من الحقوق الثابتة بين الإخوان، وقد ورد في رواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله جمع هذه الحقوق والتي تصل إلى ثلاثين حقاً: «**للمسلم على أخيه ثلاثون حقاً، لا براءة له منها إلا بالأداء أو العفو. يَغفر زلَّته، ويَرحم عبرته، ويَستر عورته، ويُقيل عثرته، ويَقبل معذرته، ويرد غيبته، ويُديم نصيحته، ويحفظ خلّته، ويرعى ذمته، ويعود مرضه، ويشهد ميته، ويُجيب دعوته، ويَقبل هديته، ويُكافئ صِلته، ويَشكر نعمته، ويُحسن نصرته، ويَحفظ حليلته، ويَقضي حاجته، ويَشفع مسألته، ويُسَمِّتْ**

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٧٤، ص٢٧٨.

عطسته، ويُرشد ضالته، ويُرد سلامه، ويُطيب كلامه، ويَبر أنعامه، ويُصدِّق أقسامه، ويُوالي وليه، ولا يعاديه، وينصره ظالما ومظلوما، فأما نصرته ظالما فيردّه عن ظلمه، وأما نصرته مظلوما فيعينه على أخذ حقه، ولا يسلمه، ولا يخذله، ويحب له من الخير ما يحب لنفسه، ويكره له من الشر ما يكره لنفسه»[1].

عدم قطيعة الإخوان

إن ارتباك علاقة المؤمنين ببعضهم مما أكد عليه الإمام عليه السلام، ومن مفردات العلاقة الحسنة:

١ - **«احْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ عِنْدَ صَرْمِه عَلَى الصِّلَةِ»**.

الصرم هو الصد والقطيعة، هل أبادر إذا قاطعني أي أخ من الأخوان بسبب مبرر أو دون سبب مبرر إلى مقاطعته أيضاً؟ إن العداوة تستمر وتكبر بسبب المبادرة إلى المقابلة بالمثل وهذا لا ينبغي ان يكون عليه الحال بين الإخوان، فمبدأ المقابلة بالمثل هو بين الأعداء لا بين الإخوان.

عن الإمام علي عليه السلام: **«لا تتبع أخاك بعد القطيعة وقيعة فيه، فيسد عليه طريق الرجوع إليك، فلعل التجارب ترده عليك»**[2].

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٧٤، ص٢٣٦.
(٢) المصدر السابق: ج٧٧، ص٢٠٩.

وعنه عليه السلام: «**لا يكونن أخوك على قطيعتك أقوى منك على صلته**»[١].

٢- «وعِنْدَ صُدُودِه عَلَى اللَّطَفِ والْمُقَارَبَةِ».

قد تجد لدى أخيك نوعاً من الجفاء والصدود، ومقابل ذلك عليك ان تبادر إلى مودته وإظهار اللطف به، ويكفي فائدة في ذلك أن تقصد به وجه الله عز وجل كما ورد في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**النظر إلى الأخ توده في الله عز وجل عبادة**»[٢].

٣- «وعِنْدَ جُمُودِه عَلَى الْبَذْلِ».

لو وجدت من أخيك نوعا من الاحجام عن الكرم او الانفاق، او شيئا من البخل فلا تبادله ذلك بالبخل عليه او الجمود بل بادر بالبذل له فإنك بذلك تخرجه عن تلك الحالة إلى حالة الكرم.

٤- «وعِنْدَ تَبَاعُدِه عَلَى الدُّنُوِّ».

قد لا يبادر الأخ إلى القطيعة ولكنه يبتعد، فلا تبادر بدورك إلى الابتعاد، بل بادر إلى الدنو والاقتراب منه، فلعله يعاني من مشكلة لم يحب أن يطلعك عليها، فإذا وجد أنك لم تبادله بالبعد، بل بقيت على دنوك منه بادر إلى إطلاعك، فكنت عونا له للخلاص من مما يعانيه.

---

(١) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج١٢، ص١٧٤.
(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٧٤، ص٢٧٩.

٥- «**وعِنْدَ شِدَّتِه عَلَى اللِّينِ**».

الإنسان خاضع لما يحيط به من ظروف وما يعيشه من حالات، فقد يبادر إلى استعمال القسوة او الشدة مع إخوانه وسواء كان ذلك مبرراً له او غير مبرر، فإن ما ينبغي لنا المبادرة إليه هو ان نعامله بلين ونحمل فعل الشدة منه على العذر.

٦- «**وعِنْدَ جُرْمِه عَلَى الْعُذْرِ، حَتَّى كَأَنَّكَ لَه عَبْدٌ وكَأَنَّه ذُو نِعْمَةٍ عَلَيْكَ**».

إذا أساء لك أخوك فلا تبادره بالإساءة بل بادره بالإحسان محتملا له العذر، فقد ورد في الرواية عن الإمام علي عليه السلام - في وصيته لمحمد بن الحنفية -: «**لا تصرم أخاك على ارتياب، ولا تقطعه دون استعتاب، لعل له عذرا وأنت تلوم به**»[1].

الحذر في العلاقة:

١- «**وإِيَّاكَ أَنْ تَضَعَ ذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِه، أَوْ أَنْ تَفْعَلَه بِغَيْرِ أَهْلِه**».

الإمام الصادق عليه السلام: «**الإخوان ثلاثة: فواحد كالغذاء الذي يحُتاج إليه كل وقت فهو العاقل، والثاني في معنى الداء وهو الأحمق،**

---

(١) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج٨، ص٥٥٣.

والثالث في معنى الدواء فهو اللبيب»[١].

وعنه عليه السلام: «**الإخوان ثلاثة: مواسٍ بنفسه، وآخر مواسٍ بماله، وهما الصادقان في الإخاء، وآخر يأخذ منك البُلغة، ويُريدك لبعض اللذة، فلا تعدّه من أهل الثقة**»[٢].

٢- «**لَا تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِيقِكَ صَدِيقاً فَتُعَادِيَ صَدِيقَكَ**».

لا شك في أن الإنسان لا يمكنه أن يصادق عدوه، أو أن يصادق عدو صديقه، لأن مجرد صداقة العدو تجعل من النفس تستريب وتشك في أن تكون الصداقة غير خالصة، بل مشوبة بنوع من النفاق.

٣- «**وامْحَضْ أَخَاكَ النَّصِيحَةَ، حَسَنَةً كَانَتْ أَوْ قَبِيحَةً**».

النصيحة للأخ كما تكون بطلب من ذلك الأخ، وذلك متى وقع في مشكلة او أراد أمرا وطلب النصيحة فيه، وإما أن تكون ابتداء متى وقع الأخ فيما لا يرضى به الله عز وجل، أو ابتعد عن طريق الحق، فقد ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «**من رأى أخاه على أمر يكرهه فلم يَردّه عنه وهو يقدر عليه فقد خانه**»[٣].

وفي رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام قال: «**أما حق**

---

(١) تحف العقول، الحراني: ص٣٢٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٧٥، ص٦٥.

أخيك، فأن تعلم أنه يدك وعزك وقوتك، فلا تتخذه سلاحا على معصية الله، ولا عدة للظلم لخلق الله، ولا تدع نصرته على عدوه والنصيحة له، فان أطاع الله وإلا فليكن الله أكرم عليك منه، ولا قوة إلا بالله».

والدرس العاشر

العلاقة مع الإخوان «1»

والدرس العاشر

العلاقة مع الإخوان «٢»

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وإِنْ أَرَدْتَ قَطِيعَةَ أَخِيكَ فَاسْتَبْقِ لَه مِنْ نَفْسِكَ، بَقِيَّةً يَرْجِعُ إِلَيْهَا إِنْ بَدَا لَه ذَلِكَ يَوْماً مَا، ومَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْراً فَصَدِّقْ ظَنَّه، ولَا تُضِيعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ اتِّكَالًا عَلَى مَا بَيْنَكَ وبَيْنَه، فَإِنَّه لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّه، ولَا يَكُنْ أَهْلُكَ أَشْقَى الْخَلْقِ بِكَ، ولَا تَرْغَبَنَّ فِيمَنْ زَهِدَ عَنْكَ، ولَا يَكُونَنَّ أَخُوكَ أَقْوَى عَلَى قَطِيعَتِكَ مِنْكَ عَلَى صِلَتِه، ولَا تَكُونَنَّ عَلَى الإِسَاءَةِ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى الإِحْسَانِ».

تمهيد:

بعد أن نهت التعاليم الأخلاقية الإسلامية عن القطيعة، ودعت إلى عدم اللجوء إليها بين الإخوان، أراد الإمام عليه السلام أن يعالج ما قد يقع خارجا من قبل الناس من القطيعة أحيانا، فلعل مشكلة ما أو سببا ما يؤدي إلى حصول القطيعة بين أخوين، فهل ينبغي أن تكون هذه القطيعة لا رجعة فيها؟ والجواب بالنفي فهذا هو الذي يحذّر منه الإمام عليه السلام، فيحثّ في وصيته على أن يُبقي الإنسان شيئا من الصلة لعل القلوب تعود إلى صفائها فتكون في تلك البقية فرصة لإعادة العلاقة الأخوية.

ومن طرق ذلك أن لا يلجأ الإنسان بعد قطيعة أخيه إلى الوقيعة فيه بأن يبدأ بكيل الاتهام إليه أو بيان بعض عيوبه أو مثالبه، بل لو لجأ بعد القطيعة إلى الصمت وتجنب التعرّض له بالسوء فإن ذلك سوف يبقي أمامه خط العودة إلى سابق العهد وهذا ما وردت به الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «**لا تتبع أخاك بعد القطيعة وقيعة فيه، فيسد عليه طريق الرجوع إليك، فلعل التجارب تَردّه عليك**»[1].

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٧٧، ص٢٠٩.

كن عند حسن ظن أخيك:

-«ومَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْراً فَصَدِّقْ ظَنَّه».

إن من أهم الأسباب المؤدية إلى العداوة والقطيعة أن يطلب الأخ من أخيه شيئا فلا يستجيب له أو أن يتوقع منه المبادرة إلى أمر فلا يبادر إلى ذلك، كما لو وقع في ضيق أو حاجة فلم يجد استجابة أو مبادرة، وكلما استحكمت العلاقة واشتدت الصداقة، زاد توقع الإنسان من أخيه وزاد أمله فيه.

من هذه النقطة بالذات ينطلق الإمام عليه السلام ليدعو في وصيته إلى أن يكون الإنسان عند حسن ظن أخيه، من خلال الاستجابة لطلبه او المبادرة إلى رفع حاجته.

وقد وردت الروايات لتنهى بشدة عن التخلف عن الاستجابة لقضاء حوائج الإخوان ففي الرواية عن الإمام الكاظم عليه السلام قال: «**من قصد إليه رجل من إخوانه مستجيرا به في بعض أحواله فلم يجره بعد أن يقدر عليه. فقد قطع ولاية الله عز وجل**»[1].

وكذلك ورد الحث في الروايات على المبادرة إلى رفع ما يقع فيه الأخ من الضيق وعدم انتظار طلبه لذلك ففي الرواية عن الإمام علي عليه السلام:

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ج٢، ص٣٣٦.

«لا يكلف أحدكم أخاه الطلب إذا عرف حاجته»[١].

فالطلب أمر صعب، ومن النفوس من تتحرج من ذلك مهما بلغت بها الحاجة، فلا ينبغي انتظار ذلك منهم، بل يسعى لقضاء حوائجهم بما لا يوقعهم في أي حرج.

راع حق أخيك:

- «ولَا تُضِيعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ اتِّكَالًا عَلَى مَا بَيْنَكَ وبَيْنَه، فَإِنَّه لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّه».

لكل صلة وعلاقة تقوم في هذه الدنيا نوع من الحقوق، فللأب حق وللأم حق، وللأخوة حق، وما لا بد منه هو الحذر من تضييع حقوق الإخوان.

وقد وردت الرواية التي تحذّر من ذلك، ففي رواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله: **«إن أحدكم ليدع من حقوق أخيه شيئا، فيطالبه به يوم القيامة فيقضى له وعليه»**[٢].

فالتقصير في حقوق الإخوان لا يؤدي إلى سقوطها.

والسبب في التقصير في حقوق الإخوان كما يكون أحيانا عن سبق تصميم، قد يصدر أحيانا من خلال التهاون والاتكال على الصداقة

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٧١، ص١٦٦.
(٢) المصدر السابق: ج٧٤، ص٢٣٦.

والأخوة، وهذا ما يحذّر منه الإمامعليه السلام، وأن الأخوة لا تعني إطلاقا التقصير في أداء الحقوق فإن ذلك سوف يؤدي إلى حدوث القطيعة.

وأدنى هذه الحقوق بحسب ما ورد في الرواية عن الإمام الصادقعليه السلام: عنهعليه السلام (في بيان حقوق المؤمن على المؤمن): «**أيسر حق منها أن تحب له ما تحب لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك**»[١].

الحرص على العلاقة:

١- «**ولَا يَكُونَنَّ أَخُوكَ أَقْوَى عَلَى قَطِيعَتِكَ مِنْكَ عَلَى صِلَتِهِ**».

كما يصل الإنسان رحمه عليه أن يصل إخوانه، وصلة الإخوان ممكنة من خلال اللجوء إلى طرق متعددة وقد وردت الروايات ببيان بعض هذه الطرق، منها ما ورد عن لإمام الكاظمعليه السلام: «**إن من واجب حق أخيك أن لا تكتمه شيئا تنفعه به لأمر دنياه وآخرته، ولا تحقد عليه وإن أساء، وأجب دعوته إذا دعاك، ولا تخل بينه وبين عدوه من الناس وإن كان أقرب إليه منك، وعده في مرضه**»[٢].

فهذه المفردات التي تعرضت لها الرواية هي عبارة عن أنواع من الصلة، والتقصير فيها او فعل ما يقابلها هو عبارة عن القطيعة.

فلو فرض أن أخاً لك بادر إلى التقصير في واحدة منها، فلا

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ج٢، ص١٦٩.

(٢) المصدر السابق: ج٨، ص١٢٦.

تجعله أقوى منك، بل عليك ان تسعى لأن تكون لك الغلبة بأن تبادر إلى صلته، ومواجهة تقصيره بأداء الواجب معه، وقد ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «**لا يفترق رجلان على الهجران إلا استوجب أحدهما البراءة واللعنة، وربما استحق ذلك كلاهما، فقال له معتب: جعلني الله فداك هذا الظالم فما بال المظلوم ؟. قال: لأنه لا يدعو أخاه إلى صلته**»[١].

وورد في رواية أخرى تحديد قطيعة الأخ وهجرانه بثلاثة أيام فعن النبي صلى الله عليه وآله: «**لا يحل لمؤمن أن يهجر مؤمنا فوق ثلاث، فإن مرت به ثلاث فليلقه فليسلم عليه، فإن رد عليّه السلام فقد اشتركا في الأجر، وإن لم يرد عليه فقد باء بالإثم، وخرج المسلم من الهجرة**»[٢].

وفي رواية أخرى عن الإمام الباقر عليه السلام: «**ما من مؤمنين اهتجرا فوق ثلاث إلا وبرئتُ منهما في الثالثة، فقيل له: يا بن رسول الله هذا حال الظالم فما بال المظلوم؟ فقال عليه السلام: ما بال المظلوم لا يصير إلى الظالم فيقول: أنا الظالم حتى يصطلحا؟!**»[٣].

٢- «وَلَا تَكُونَنَّ عَلَى الإِسَاءَةِ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى الإِحْسَانِ».

الإحسان إلى الناس فضيلة بحد ذاته، وقد وردت الآيات

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ج٢، ص٣٤٤.
(٢) الخصال، الشيخ الصدوق: ص١٨٣.
(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٧٥، ص١٨٨.

والروايات بالحث عليه فورد قوله تعالى: «**إنّ اللهّ يأْمُرُ بالْعدْل والإحْسان وإيتاء ذي الْقُرْبى وينْهى عنْ الْفحْشاء والْمُنكر والْبغْي يعظُكُمْ لعلّكُمْ تذكّرُون**»[١].

بل وردت الروايات بالحث على الإحسان حتى لمن أساء، وهذا هو المراد من وصية الإمام عليه السلام بأن يكون المؤمن أقوى على الإحسان من غيره على الإساءة، ففي رواية عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**اجعل جزاء النعمة عليك، الإحسان إلى من أساء إليك**»[٢].

ولمبادلة الإساءة بالإحسان أثر تربوي مهم تعرضت له الروايات وهو عبارة عن إصلاح المسيء وردعه عن الإساءة وتكرارها ففي رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**أصلح المسيء بحسن فعالك، ودل على الجميل بجميل مقالك**»[٣].

تقسيم الرزق:

- «**واعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ الرِّزْقَ رِزْقَانِ، رِزْقٌ تَطْلُبُه ورِزْقٌ يَطْلُبُكَ، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَأْتِه أَتَاكَ**».

كلنا عاش هذه التجربة، فقد تتوقع أن يأتيك رزق من مكان ما فتسعى إليه وتبذل جهدك في الوصول إليه، ولكنك لا تصل إليه،

(١) سورة النحل: آية٩٠.
(٢) عيون الحكم والمواعظ، الواسطي: ص٨٠.
(٣) المصدر السابق: ص٨٢.

الدرس الحادي عشر

القناعة في الرزق

الدرس الحادي عشر

القناعة في الرزق

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «واعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ الرِّزْقَ رِزْقَانِ، رِزْقٌ تَطْلُبُه ورِزْقٌ يَطْلُبُكَ، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَأْتِه أَتَاكَ، مَا أَقْبَحَ الْخُضُوعَ عِنْدَ الْحَاجَةِ، والْجَفَاءَ عِنْدَ الْغِنَى، إِنَّمَا لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ مَا أَصْلَحْتَ بِه مَثْوَاكَ، وإِنْ كُنْتَ جَازِعاً عَلَى مَا تَفَلَّتَ مِنْ يَدَيْكَ، فَاجْزَعْ عَلَى كُلِّ مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ».

ولكن رزقاً لا تحسب له حساباً ولا تتوقعه يبحث عنك ليصل هو بنفسه إليك.

وانقسام الرزق إلى هذين القسمين، هو باب من أبواب معرفة الله عز وجل حيث يصل الإنسان إلى حالة اليقين بأن الرزق بيد الله فقط.

وقد ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «**ما أقبح بالرجل يأتي عليه سبعون سنة أو ثمانون سنة يعيش في ملك الله ويأكل من نعمه ثم لا يعرف الله حق معرفته**»(١).

وتتحدث الآية الكريمة عن الحكمة في قبض الرزق عن بعض الناس: ﴿**ولوْ بسط اللهُ الرّزْق لعباده لبغوْا في الأرْض ولكنْ يُنزّلُ بقدرٍ ما يشاءُ إنّهُ بعباده خبيرٌ بصيرٌ**﴾(٢).

كما تكون الحكمة من تقدير الأرزاق وتوزيعها هو امتحان الناس بها وابتلاؤهم لمعرفة درجة إيمانهم وذلك من ناحية صبرهم على الفقر، وابتلاء لهم واختبارا لكيفية تصرفهم في الرزق فهل ينفقونه في الطاعات أو في المعاصي، فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام: «**وقَدَّرَ الأَرْزَاقَ فَكَثَّرَهَا وقَلَّلَهَا، وقَسَّمَهَا عَلَى الضِّيقِ والسَّعَةِ، فَعَدَلَ فِيهَا لِيَبْتَلِيَ، مَنْ أَرَادَ بِمَيْسُورِهَا ومَعْسُورِهَا، ولِيَخْتَبِرَ بِذَلِكَ الشُّكْرَ والصَّبْرَ مِنْ غَنِيِّهَا**

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٤، ص٥٤.
(٢) سورة الشورى: آية٢٧.

وفَقِيرِهَا»[١].

قوة الدين:

-«مَا أَقْبَحَ الخُضُوعَ عِنْدَ الحَاجَةِ، والجُفَاءَ عِنْدَ الْغِنَى».

مضمون هذا الوصية هو ما وردت به الآية الكريمة وهي قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ* فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾[٢].

إنها الصورة التي يلجأ فيها الإنسان إلى ربه عند الحاجة وينساه عند الغنى.

هذه الصورة هي التي يتعجب الإمام من درجة قبحها، إن ما ورد في الآيات أعلاه غير مختص بعبدة الأوثان، بل هو قانون كلي ينطبق على كل الأفراد الملوثين من عبيد الدنيا المشغوفين بها فعندما تحيط بهم أمواج البلايا والمحن وتقصر أياديهم عن كل شئ، ولا يرون لهم ناصرا ولا معينا، فإنهم سَيمُدّونَ أيديهم بالدعاء بين يدي الله سبحانه

(١) نهج البلاغة، تحقيق صالح: ص١٣٤.
(٢) سورة يونس: آية٢٢-٢٣.

ويعاهدونه بألف عهد وميثاق، وينذرون ويقطعون العهود بأنهم إن تخلصوا من هذه البلايا والأخطار سيفعلون كذا وكذا. إلا أن هذه اليقظة والوعي التي هي انعكاس لروح التوحيد الفطري، لا تستمر طويلا عند أمثال هؤلاء، فبمجرد أن يهدأ الطوفان وتنقشع سحب البلاء، فإن حجب الغفلة ستغشي قلوبهم، تلك الحجب الكثيفة التي لا تنقشع عن تلك القلوب إلا بالطوفان، ورغم أن هذه اليقظة مؤقتة، وليس لها أثر تربوي في الأفراد الملوثين جدا، أنها تقيم الحجة عليهم، وستكون دليلا على محكوميتهم.

وهكذا الحال في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ**﴾[1].

النأي الابتعاد، والمراد بالجانب الجهة والمكان فقوله تعالى: ﴿**وَنَأى بِجَانِبِهِ**﴾ كناية عن الابتعاد بنفسه وهو كناية عن التكبر والخيلاء، والمراد بالعريض الوسيع، والدعاء العريض كالدعاء الطويل كناية عما استمر وأصر عليه الداعي، والآية في مقام ذم الإنسان وتوبيخه أنه إذا أنعم الله عليه أعرض عنه وتكبر، وإذا سلب النعمة ذكر الله وأقبل عليه بالدعاء مستمرا مصرا.

---

(١) سورة فصلت: آية٥١.

الدنيا فرصة للآخرة:

-«إِنَّمَا لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ مَا أَصْلَحْتَ بِهِ مَثْوَاكَ».

إذا كان الهدف من العمل في هذه الدنيا، هو الوصول إلى هذه الدنيا ونيل بعض ما فيها، فإن في ذلك الخسران، لأنه من البذل في سبيل ما يُعلم أن مصيره إلى الفناء لا إلى البقاء، فقد ورد في الرواية عن الإمام علي عليه السلام: «**متاع الدنيا حطام، وتراثها كباب، بلغتها أفضل من أثرتها، وقلعتها أركن من طمأنينتها، حكم بالفاقة على مكثرها، واعين بالراحة من رغب عنها**»(١).

وفي رواية أخرى وردت بالحث على العمل في الدنيا لأجل الآخرة ورد عن الإمام علي عليه السلام: «**إِنَّ اللهَّ سُبْحَانَه قَدْ جَعَلَ الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا، وابْتَلَى فِيهَا أَهْلَهَا لِيَعْلَمَ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا، ولَسْنَا لِلدُّنْيَا خُلِقْنَا ولَا بِالسَّعْيِ فِيهَا أُمِرْنَا**»(٢).

ولذا ورد في الروايات أيضا بيان حقيقة أن الدنيا تبلغ الغاية من الهوان عند الله عز وجل فهي ليست ذات قيمة عند الله، ففي رواية عن الإمام علي عليه السلام: «**مالها عند الله عز وجل قدر ولا وزن، ولا خلق فيما بلغنا خلقا أبغض إليه منها، ولا نظر إليها مذ خلقها، ولقد عُرضت**

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٧٨، ص٢٧٧.

(٢) نهج البلاغة، تحقيق صالح: ص٤٤٦.

على نبينا صلى الله عليه وآله بمفاتيحها وخزائنها لا ينقصه ذلك من حظه من الآخرة، فأبى أن يقبلها، لعلمه أن الله عز وجل أبغض شيئاً فأبغضه، وصغر شيئاً فصغره»[1].

لا تجزع من فوت الدنيا:

- «وإنْ كُنْت جازعاً على ما تفلّت منْ يديْك، فاجْزعْ على كُلّ ما لمْ يصلْ إليْك»

لا ينبغي أن تجزع على ما ذهب من مالك، كما لا ينبغي أن تجزع على ما فاتك من المنافع والمكاسب، فإنه لا فرق بينهما، إلا أن هذا حصل، ذاك لم يحصل بعد، وهذا فرق غير مؤثر، لان الذي تظن أنه حاصل لك غير حاصل في الحقيقة، وإنما الحاصل على الحقيقة ما أكلته ولبسته، وأما المقتنيات والمدخرات فلعلها ليست لك.

إن ما يكون موجبا لقوة القلب على تحمل ما فات من المال وعدم الجزع عليه هو أحد أمرين:

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٧٠، ص١١٠.

الأول: غنى القلب:

والمراد من غنى القلب أن لا يكون الإنسان متعلقا بما فاته من مال، فهو زاهد فيه، ولذا تجد من يضيع من أمامه حظ من هذه الدنيا هو متعلق بها في حسرة مشتت البال شارد الذهن، وذلك خلافا لمن أراد الآخرة، وقد ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «**من أصبح وأمسى والدنيا أكبر همه، جعل الله تعالى الفقر بين عينيه وشَتَّت أمره، ولم ينل من الدنيا إلا ما قسم له، ومن أصبح وأمسى والآخرة أكبر همه جعل الله تعالى الغنى في قلبه وجمع له أمره**»[١].

الأمر الثاني: حسن الثقة بالله عز وجل:

إن ما يهوّن على الإنسان الأمر فيما يضيع من ماله، هو حسن الثقة بالله عز وجل، فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام: «**أصل الرضا حسن الثقة بالله**»[٢].

وورد في رواية أخرى عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**والذي لا إله إلا هو، لا يحسن ظن عبد مؤمن بالله إلا كان الله عند ظن عبده المؤمن، لأن الله كريم بيده الخيرات، يستحيي أن يكون عبده المؤمن قد أحسن به الظن ثم يخلف ظنه ورجاءه، فأحسنوا بالله الظن وارغبوا إليه**»[٣].

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ج٢، ص٣١٩.
(٢) غرر الحكم، الآمدي: ح٣٠٨٥.
(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٧٠، ص٣٦٦.

الدرس الثاني عشر

القرابة والرحم

الدرس الثاني عشر

القرابة والرحم

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وأَكْرِمْ عَشِيرَتَكَ، فَإِنَّهُمْ جَنَاحُكَ الَّذِي بِه تَطِيرُ، وأَصْلُكَ الَّذِي إِلَيْه تَصِيرُ ويَدُكَ الَّتِي بِهَا تَصُولُ».

العشيرة بمفهومها الإيجابي:

العشيرة هي الجماعة التي ترجع إلى عقد واحد، والعشيرة مشتقة من «العشرة» العدد المعروف، وحيث أن العشرة تعتبر في نفسها عدداً كاملاً، فقد سمي أقرباء الرجل الذين يكمل بهم عشيرة. ولا شك في أن الإسلام أعطى لمفهوم العشيرة الذي كان سائداً بين العرب في عصر الدعوة بُعده الإيجابي، وأعلن رفضه لبعض المفاهيم السلبية التي كانت سائدة بين العشائر، والتي تتنافى مع التعاليم الأخلاقية والقيم الإنسانية.

أما البعد الإيجابي في العشيرة فهو يتمثل في ما عرف في الإسلام بصلة الرحم، فللرحم حق على المكلف أن يُؤدّيه ولا يُقصّر فيه.

قال العلامة الطباطبائي: «كيف كان فالرحم من أقوى أسباب الالتيام الطبيعي بين أفراد العشيرة مستعدة للتأثير أقوى الاستعداد ولذلك كان ما ينتجه المعروف بين الأرحام أقوى وأشد مما ينتجه ذلك بين الأجانب وكذلك الإساءة في مورد الأقارب أشد أثراً منها في مورد الأجانب»[١].

والعشيرة أيضاً يمكن أن تشكل عوناً في طاعة الله تعالى وقوة للامتثال للتكليف الشرعي، وقد قال تعالى في قصة نبي الله لوط:

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، السيدمحمد حسين الطباطبائي: ج٤، ص ١٤٨.

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[١].

وذكر العلامة الطباطبائي في تفسير الركن الشديد بأنه العشيرة القوية والمنيعة التي تمنعكم من أذيتي.

وذكر في تفسير الأمثل في قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى﴾[٢].

(ثم أنها توصي بالإحسان إلى كلّ الأقرباء، وهذا الموضوع من المسائل التي يهتم بها القرآن الكريم اهتماماً بالغاً تارةً تحت عنوان «صلة الرحم» وأخرى بعنوان «الإحسان إلى القربى»، وقد أراد الإسلام بهذا في الحقيقة أن يُقوّي من أواصر العلاقة الواسعة بين جميع أفراد البشر مضافاً إلى إيجاد أواصر وعلاقات أقوى وأمتن منها في الوحدات الاجتماعية التي هي أكثر انسجاماً مثل «العشيرة» و«العائلة» ليستطيعوا التعاون في ما بينهم عند ظهور المشاكل والحوادث، والتعاون على الدفاع عن حقوقهم)[٣].

وهكذا يكون الأمر بإكرام العشيرة لكي يكون للشخص قوة في عشيرته تدافع عنه لو أراد أحدهم التعدّي عليه أو سلبه حقاً من حقوقه، أي نصرته في الحالات التي يكون فيها مظلوماً، ولذا نجد

(١) سورة هود: آية٨٠.

(٢) سورة النساء: آية٣٦.

(٣) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي: ج٣، ص٢٣٠.

الإمام علي عليه السلام يصفهم بقوله: «**فإنهم جناحك الذي به تطير**»، وذلك لأن من يسعى في الأرض لا بد له من تحصيل ما يكون موجباً للأمان بالنسبة إليه، فمن كان له عشيرة، كان له أمان في هذه الأرض.

وإكرام العشيرة لا يكون بالعصبية لهم أو بما فيه معصية الله، بل بمعاملتهم بما أمر به الله، ولذا ورد في رواية عن الإمام علي عليه السلام بيان ذلك بقوله: «**فأكرم كريمهم، وعُد سقيمهم، وأشركهم في أمورهم، وتيسر عند معسورهم**»[1].

فإكرام الكريم، وعيادة المريض وإعانة المحتاج هي من تعاليم الإسلام التي أمر المؤمن بأن تكون خلقاً من أخلاقه.

خصائص العشيرة:

ويشير الإمام إلى بعض خصائص العشيرة فيقول:

- «**وأَصْلُكَ الَّذِي إِلَيْه تَصِيرُ**».

لا شك في أن الإسلام نهى عن التفاخر بالنَّسَب، فالفضل الموجب للفخر في الإسلام إنما هو التقوى، ولكن الإسلام دعا الناس إلى حفظ أنسابهم، ولذا ورد النهي عن نسبة الولد المتبنى إلى متبنيه بل أمر بنسبته إلى أبيه وقد ورد قوله تعالى: «ادْعُوهُمْ لآبائهمْ هُو أَقْسطُ عنْد الله».

(١) تحف العقول، الحراني: ص٨٨.

- «**ويَدُكَ الَّتِي بِهَا تَصُولُ**».

والمراد بهذا التعبير أن العشيرة هي اليد التي يتمكن من خلالها الإنسان أن يكون صاحب سلطة وقدرة.

ولذا يُنبّه الإمام عليه السلام في كلامه من التصور الخاطئ الذي قد يظنه البعض وأن من يكون ذا مال فإنه يستغني عن العشيرة ببيان كيف تكون العشيرة يدا حتى لصاحب المال، فقد ورد في كلامه التالي: «**ولا يستغنى الرجل عن عشيرته وإن كان ذا مال، فإنه يحتاج إلى دفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم، وهي أعظم الناس حيطة من ورائه وَأَلَمُّهُمْ لشعثه، وأعظمهم عليه إن نزلت به نازلة أو حلت به مصيبة، ومن يقبض يده عن عشيرته فإنما يقبض عنهم يدا واحدة وتقبض عنه أيد كثيرة**»[1].

المفهوم السلبي للعشيرة:

في الوقت الذي دعا فيه الإسلام إلى التمسك بالعشيرة فيما يكون في طاعة الله وبغرض الوصول إلى رضاه، نهى عن اتباع العشيرة فيما كانت عليه العرب من عصبية ونصرة للعشيرة في حق أو باطل.

فقد ورد أولاً التحذير من تفضيل العشيرة على الله ورسوله والجهاد وذلك في قوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا**

(١) نهج السعادة، المحمودي: ج٤، ص٣٣٣.

وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[1].

ومن هنا فإن كانت العشيرة من الأمور التي تعين على نصرة الله ورسوله فهي أمر مُحبَّب، وإلا فإن كانت من الأمور التي تكون هدفا بذاتها، دون ما يريده الله كانت مذمومة شرعاً.

ومن هنا نقرأ في قصة شعيب قوله تعالى: **﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيّاً إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾**[2].

فقد ذكر السيد الطباطبائي في تفسير هذه الآية قال: «ولولا هذا النفر القليل الذين هم عشيرتك لرجمناك لكنا نراعى جانبهم فيك، وفي تقليل العشيرة إيماء إلى أنهم لو أرادوا قتله يوما قتلوه من غير أن يبالوا بعشيرته، وإنما كَفّهم عن قتله نوع احترام وتكريم منهم لعشيرته».

ومن هنا جاء رد شعيب عليه السلام عليهم بأنكم كيف تعززون رهطي وتحترمون جانبهم، ولا تعززون الله سبحانه ولا تحترمون جانبه وإني انا الذي أدعوكم إليه من جانبه ؟ فهل رهطي أعز عليكم من الله؟ وقد

---

(١) سورة التوبة: آية٢٤.

(٢) سورة هود: آية٩١.

جعلتموه نسيا منسيا وليس لكم ذلك وما كان لكم إن تفعلوه ربى بما تعملون محيط بما له من الإحاطة بكل شئ وجودا وعلما وقدرة[١]. انتهى[٢].

(١) الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي: ج١٠، ص٣٧٥.

(٢) جمعية المعارف الإسلامية الثقافية (بتصرف)، منقول من موقع (في رحاب نهج البلاغة) وهو من المواقع التابعة لمركز آل البيت عليهم السلام العالمي للمعلومات، التابع لمكتب المرجع الديني الأعلى سماحة آية الله العظمى الحاج السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله).

الفهرس

المقدمة: ٣

النص الكامل للوصية: ٥

الدرس الأول: الإنسان في هذه الدنيا..... ٢١

تمهيد:..... ٢٢

لماذا المصائب والآفات والأمراض؟..... ٢٤

الدرس الثاني: حياة القلب ٣٣

تمهيد: ٣٤

الأمر الأول: أسباب الظلمات ورفعها:..... ٣٦

الأمر الثاني: بعث النور في القلب من جديد ٣٩

الأمر الثالث: تقوية القلب..... ٤٢

الدرس الثالث: النصيحة وضرورة استماعها ٤٧

تمهيد:..... ٤٨

موانع الاستماع إلى النصيحة ٤٩

ثمرة النصيحة:..... ٥١

الدرس الرابع: حال المؤمن في الدنيا..... ٥٥

تمهيد:..... ٥٦

حال المؤمن: ٥٦
حال الكافر المغتّر بهذه الدنيا: ٦١
الدرس الخامس: قواعد التعامل مع الناس ٦٥
القاعدة العامة في المعاملة: ٦٦
تطبيقات القاعدة: ٦٧
الدرس السادس: الله رؤوف بالعباد ٧٥
تمهيد: ٧٦
الدرس السابع: ذكر الموت ٨٥
أثر ذكر الموت: ٨٦
الحذر من الموت: ٨٨
الاستعداد لتلك الرحلة: ٩٠
صورة موت المؤمن: ٩١
صورة موت أهل النار: ٩٢
الدرس الثامن: المؤمن عزيز ٩٧
المؤمن لا يُذل: ٩٨
المؤمن حر: ٩٩
الغاية والوسيلة: ١٠٠
موجبات العزة: ١٠٠
الدرس التاسع: العلاقة مع الإخوان «١» ١٠٥
تمهيد: ١٠٦
عدم قطيعة الإخوان ١٠٧

الحذر في العلاقة: ١٠٩
والدرس العاشر: العلاقة مع الإخوان «٢» ١١٥
تمهيد: ١١٦
كن عند حسن ظن أخيك ١١٧
راع حق أخيك: ١١٨
الحرص على العلاقة: ١١٩
الدرس الحادي عشر: القناعة في الرزق ١٢٥
تقسيم الرزق: ١٢٦
قوة الدين: ١٢٧
الدنيا فرصة للآخرة: ١٢٩
لا تجزع من فوت الدنيا: ١٣٠
الأول: غنى القلب: ١٣١
الأمر الثاني: حسن الثقة بالله عز وجل: ١٣١
الدرس الثاني عشر: القرابة والرحم ١٣٥
العشيرة بمفهومها الإيجابي: ١٣٦
خصائص العشيرة: ١٣٨
المفهوم السلبي للعشيرة: ١٣٩